التعليقات السنية على المنظومة الحائية

لأبي بكر بن داود السجستاني



تصنيف

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليقات السنية على المنظومة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة على الطريقة السلفية

للإمام

أبي بكر عبد الله بن أبي داود

تعليق وشرح

أبي عمير

مجدي بن محمد بن عرفات المصري الأثري

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

للنشر والتوزيع

الإسكندرية ت/ ٥٤٩٦١٠٧ /٠٣ فاكس/ ٨٨٧١٣٤

safa.merwa@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٢٦٢٧/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977 - 6168 - 54 - x

ابن أبي داود؛ أبي بكر عبد الله

كتاب: التعليقات السنية على المنظومة الحائية في عقيدة

أهل السنة والجماعة على الطريقة السلفية

تأليف: أبي بكر عبد الله بن داود

شرح وتعليق: أبي عمير مجدي بن محمد بن عرفات المصري الأثري

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧

دار الصفا والمروة

للنشر والتوزيع

١٨٥ ش جمال عبد الناصر - نهاية نفق سيدي بشر

الإسكندرية ت: ٠٣/٥٤٩٦١٠٧ فاكس: ٠٣/٥٥٦٧١٣٤

Email: safa.meraw@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

متن الحائية

قال الإمام الحافظ ابن أبي داود رحمه الله في قصيدته الموسومة بـ: «الحائية» ما نصه:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى ... وَلا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ
وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بِالوَقْفِ قَائِلاً ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا
وَلا تَقُلِ القُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فَإِنَّ كَلامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ
وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا البَدْرُ لا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المُسَبَّحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلا كَيْفَ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ أَلا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

وَقُــلْ إِنَّ خَيْــرَ النَّاسِ بَعْــدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيــرَاهُ قِدْمًـا ثمَّ عُثْمَـانُ الأَرْجَحُ
وَرَابِعُهُــمْ خَيْــرُ البَرِيَّــةِ بَعْدَهُــمْ ... عَلِــيٌّ حَلِيــفُ الخَيْرِ بالخَيْرِ مُنْجَحُ
وَإِنَّهُــمُ لَلرَّهْــطِ لا رَيْــبَ فِيهِــمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بِالنُّـورِ تَسْرَحُ
سَعِيــدٌ وَسَعْــدُ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِــرُ فِهْــرٍ وَالزُّبَيْــرِ المُمَــدَّحُ
وَقُلْ خَيْــرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهُــمْ ... وَلا تَــكُ طَعَّانًــا تَعِيــبُ وَتَجْرَحُ
فَقَــدْ نطَــقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي الفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
وَبالقَــدَرِ المَقْــدُورِ أَيْقِــنْ فَإِنَّــهُ ... دِعَامَــةُ عَقْدِ الدِّيــنِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ
وَلا تُنْكِــرَنْ جَهْــلاً نَكِيرًا وَمُنْكَــرًا ... وَلا الحَــوْضَ وَالمِيزَانَ إِنَّـكَ تُنْصَحُ
وَقُــلْ يُخْــرِجُ الله العَظِيــمُ بِفَضْلِــهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَــى النَّهْــرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحَبِّ حَمِيــلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَإِنَّ رَسُــولَ الله لِلْخَلْــقِ شَافِــعٌ ... وَإِنَّ عَذَابَ القَبْــرِ بِالحَقِّ مُوضَــحُ
وَلا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلاةِ وَإِنْ عَصَـوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو العَــرْشِ يَصْفَــحُ
وَلا تَعْتَقِــدْ رَأْيَ الخَــوَارِجِ إِنَّــهُ ... مَقَــالٌ لِمَــنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
وَلا تَــكُ مُرْجِيًّــا لَعُوبًــا بِدِينِــهِ ... أَلا إِنَّمَــا المُرْجِيُّ بِالدِّيــنِ يَمْــزَحُ
وَقُــلْ إِنَّمَــا الإِيمَــانُ قَــوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْــلٌ عَلَــى قَــوْلِ النَّبِيِّ مُصَــرَّحُ
وَيَنْقُــصُ طَــوْرًا بِالمَعَاصِــي وَتَــارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمَــى وَفِــي الوَزْنِ يَرْجُــحُ
وَدَعْ عَنْــكَ آرَاءَ الرِّجَــالِ وَقَوْلِهِـمْ ... فَقَــوْلُ رَسُــولِ الله أَوْلَــى وَأَشْــرَحُ
وَلا تَــكُ مِــنْ قَوْمٍ تَلَهَّــوْا بِدِينِهِـمْ ... فَتَطْعَــنْ فِي أَهْلِ الحَدِيــثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَــا اعْتَقَدْتَ الدَّهْــرَ يَا صَاحِ هَذِهِ ... فَأَنْتَ عَلَــى خَيْــرٍ تَبِيــتُ وَتُصْبِحُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المنظومة الحائية، أو القصيدة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة على الطريقة السلفية

ترجمة صاحب المنظومة:

الإمام أبو بكر عبد الله بن أبي داود «سليمان بن الأشعث» السجستاني، ولد سنة مائتين وثلاثين في سجستان، وتلقى العلم منذ صغره.

شيوخه:

أبوه: الإمام صاحب السنن أبو داود، وأحمد بن صالح المصري، ومحمد بن بشار «بندار»، وإسحاق بن منصور الكوسج، وعمرو بن علي الفلاس، ومحمد بن يحيى الذهلي، وهارون بن سعيد الأيلي، وأحمد بن طاهر الصالحي، ونصر بن على الجهضمي، والحسن الزعفراني.

وعامة هؤلاء شيوخ للبخاري ومسلم، فشارك هؤلاء في هذه الثلة من المشايخ والأئمة الثقات الأثبات.

تلاميذه:

روى عنه خلق كثيرون من خراسان والحجاز والعراق ومصر والشام، وغيرها من البلدان، وحدث عنه، وتلقى عنه العلم:

الإمام ابن حبان صاحب الصحيح، وأبو الحسن الدارقطني صاحب السنن، وأبو أحمد الحاكم، وأبو حفص بن شاهين، والإمام ابن بطة صاحب الإبانة؛ الذي روى عنه هذه المنظومة في كتابه.

ثناء العلماء عليه:

كان إمامًا، أثنى عليه جماعة من العلماء.

قال عنه أبو محمد الخلال: كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته في العراق أسند منه، وما بلغ في الآلة والإتقان ما بلغ هو.

قال الخطيب البغدادي: كان فقيهًا عالمًا حافظًا.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: كان من أكابر الحفاظ في بغداد، وعالمًا مُتَفَقَّهًا عليه، إمامًا.

قال الذهبي: كان من بحور العلم؛ بحيث إن بعضهم فضله على أبيه.

وقال أيضًا: كان من الحفاظ المبرزين ما هو، بدون أبيه، صنف التصانيف، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة في بغداد.

وقال أيضًا: والرجل من كبار علماء المسلمين، ومن أوثق الحفاظ.

ومع ذلك قد تكلم فيه بعضهم، واتُّهِمَ بالنصب، أو كان قد وقع في النصب، ثم تاب ورجع إلى ما كان عليه السلف الصالح، وهذه المنظومة شاهدة على ذلك.

من أحواله وأقواله:

كان ذا همة عالية في الطلب والتحصيل، ثبت عنه أنه قال:

- دخلت الكوفة ومعي درهم فأخذت به ثلاثين مدًا من الباقلاء؛ فكنت آكل

وأكتب عن أبي سعيد الأشج فما فرغ الباقلاء إلا وقد كتبت عنه ثلاثين ألف حديث: ما بين مقطوع وموصول.

- حَدَّثْتُ بأصبهان من حفظي ستة وثلاثين ألف حديث، ألزموني الوهم منها في سبعة؛ فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به.

قال ابن شاهين تلميذه: أملى علينا ابن أبي داود سنين وما رأيت بيده كتابًا، إنما كان يملي حفظًا؛ فكان يقعد على المنبر بعدما كَبُرَ، وكان يقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر بيده كتاب؛ فيقول: حديث كذا؛ فيسردها من حفظه حتى يأتي على المجلس.

تصانيفه:

من جملتها: السنن، والبعث، والمصاحف، والناسخ والمنسوخ، وشريعة المقارئ، وغيرها من المصنفات.

من أقواله التي أُثرت عنه في هذه المنظومة، التي بين فيها عقيدته السلفية: عقيدة أصحاب الحديث، قال في نهايتها: هذا قولي، وقول أبي، وقول شيوخنا، وقول العلماء ممن لم نرهم كما بلغنا عنهم؛ فمن قال عليٌّ غير ذلك فقد كذب.

توفى فى بغداد فى ذى الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة وكان عمره سبعة وثمانين سنة، وصلى عليه ما يزيد عن أكثر من ثلاثمائة ألف مصلٍ، وكما قال الإمام أحمد: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز.

ترك ثلاثة أولاد: عبد الأعلى، ومحمد، وأبو معمر عبيد الله، وخمس بنات

المنظومة الحائية: سميت بذلك لأنها مقفاة بحرف الحاء.

قال عنها الذهبى: هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري، وصنف لها شرحًا، وأبو عبد الله بن بطة فى الإبانة.

وشرحها غيرهم منهم: ابن البنا، والعلامة السفاريني رحمه الله، وعبد الرزاق بن عبد المحسن بن حمد العباد البدر، وشرحها شرحًا مختصرًا، و حلا لألفاظها، وبعد ذلك وقفت على شرح للعلامة فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

ولما كانت هذه القصيدة بهذه المثابة، وأثنى عليها من تقدم ذكرهم من العلماء قمت بشرحها لطلبة العلم بميت غمر شرحًا موجزًا؛ وذلك مع حفظها، فأردت أن ينتشر هذا الشرح؛ فكتبته بهذا الأسلوب الميسر، لعل الله أن ينفع بها مَن شرحها وحفظها وسمعها فى الدنيا والآخرة: يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وسميت هذا الشرح: التعليقات السُّنِّيَّةُ على المنظومة الحائية.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عمير مجدى بن محمد بن عرفات المصرى الأثرى

الكرامة – أجا – دقهلية – مصر

شرح القصيدة

الاعتصام بالكتاب والسنة:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى ... وَلا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

فى هذين البيتين بدأ الناظم بالأمر، والحث على التمسك بالكتاب والسنة؛ إذ هما مصدر التلقى عند سلفنا الصالح، ولا يأخذون دينهم إلا من الكتاب والسنة، ولا مجال للعقل فى أمور العبادات، إنما العبادات (من عقائد، وأعمال ظاهرة، وأقوال) موقوفة على ما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فأمر بالتمسك بهذين المصدرين اللذين كان عليهما سلفنا الصالح، وحذر من الابتداع: وهو العمل بغير هدى: أى العمل على خلاف السنة.

أمرٌ بالسنة، ونهيٌ عن ضدها: وهى البدعة؛ التخلى عن البدع، والتحلى بالسنن: نفى وإثبات؛ فكلمة التوحيد نفى الألوهية عما سوى الله، وإثباتها لله ﷻ وحده.

أمر بالتمسك بحبل الله، والتمسك بالشيء هو الأخذ بقوة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠] أى يتمسكون بالكتاب، ويمسكون غيرهم بهذا الكتاب، فهؤلاء الذين تمسكوا، وأمروا غيرهم بالتمسك بالكتاب، والعمل بما فى الكتاب هؤلاء هم المصلحون.

وحَبْل الله: هو الإسلام، وهو القرآن، وهو الرسول ﷺ، وكلها معان صحيحة،

وكلها تدل على معنى واحد؛ فالإسلام هو كتاب الله، وهو سنة رسول الله، وكتاب الله يبين الإسلام، وسنة رسول الله هى الإسلام الذى جاء به من عند الله: كتابًا وسنة؛ فيأمر رحمه الله - كما قد أمر الله ورسوله - بالتمسك بكتاب الله.

وَاتَّبِعِ الهُدَى: الذى جاءك فى الكتاب، وجاءك مع رسول الله ﷺ؛ فالهدى ليس إلا ما جاء فى الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] الهدى هنا بمعنى البيان والإرشاد: أى تمسك بالبيان، تمسك بالإرشاد بما دلك عليه القرآن، ورسول الله ﷺ.

والهدى أو الهداية فى القرآن على معنيين:

الأول: بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان، **والثانى**: بمعنى التوفيق والإلهام.

التوفيق والإلهام هذا لله عز وجل، هو الذى يلهمك ويوفقك ويسددك، أما بمعنى الدلالة والإرشاد، والبيان والإيضاح والبلاغ؛ فهذه للأنبياء والمرسلين، وأتباعهم.

وَلا تَكُ بِدْعِيًّا: ولا تكن مبتدعا مخالفا لهذا البيان، ولسبيل الهداية التى كان عليها النبى ﷺ، وهى خير هداية: «**إِنَّ أَحْسَنَ الهَدْىِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ ﷺ**»(١) وكان يقول ذلك فى كل خطبة كما فى حديث جابر فى صحيح مسلم أنه قال: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الهَدْىِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ ﷺ**»(٢) أحسن سبيل تسلكه ما أرشدك إليه محمد ﷺ؛ لأنه يهدى إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] يهديهم، ويوضح لهم سبيلهم إلى الله عز وجل، ومن سلك هذا السبيل لا يبتدع.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب - باب في الهدي الصالح.

(٢) رواه مسلم: كتاب الجمعة - باب تخفي الصلاة والخطبة.

تمسك بسبيل الهدى، ولا تسلك سُبُلَ الرَدَى، تمسك بما كان عليه النبى ﷺ، ولا تأخذ بعيدًا عنه برأى الرجال وأهوائهم، أو برأيك وهواك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الاسراء: ٣٦]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

أمر بالتمسك بهذا السبيل: سبيل الرشاد، سبيل الهداية الذى بينه النبى ﷺ، والنهى عن مخالفة أمره، وعن الابتداع، وعن القول والعمل والاعتقاد، ولما لا علم لك به من كتاب أو سنة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أمرٌ بالتمسك، ونهىٌ عن المخالفة، أمرٌ بالاتباع، ونهى عن الابتداع، أمر بالتزام سبيل الهداية، ونهى عن الالتواء والانحراف فى تلك السبل التى على رأس كل واحد مها شيطان يدعو إليها، قال ﷺ: «عَلَيكُمْ بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ بَعْدِى عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ»(١) وقال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٢).

فاحذر الابتداع، واحذر الحدث، واحذر التجديد فى الدين ولا أصل معك ترجع إليه: فمن تمسك بالسنة، وخاف وحذر، وترك البدع فهو من المفلحين، هذا المفلح الذى يترك البدع، ويتخلى عنها، ويأتى بالسنن، ويتحلى بها، هذا السالك لسبيل الهداية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٥).

(٢) متفق عليه.

الذى سلك سبيل الهدى، وآمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، واتبع ما جاء به رسول الله ﷺ.

لَعَلَّكَ تُفْلِحُ: هذا هو المفلح الذى آمن بالكتاب والسنة، والتزم بهما، وخاف البدع والمحدثات، وتركها امتثالا لأمر الله، وأمر رسول الله ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] الأمر بالهداية والتمسك بالكتاب والسنة، والنهى عن الغواية بترك البدع التى حذر منها النبى ﷺ، والتى لا أصل لها فى الدين، من فعل ذلك كان من المهتدين فى الدنيا، وكان من المفلحين فى الآخرة.

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

دِنْ: من دان يَدِينُ: أى اجعل دينك كتاب الله، ملتزمًا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فإن فعلت ذلك نجوت نجاة تامة فى الدنيا والآخرة، نجوت من كل شر وبلية: إلى متى؟! إلى ما لا نهاية له؛ فإذا تمسكت بالكتاب والسنة، وصار دينك مبنيا على الكتاب والسنة: متبعًا لا مبتدعًا؛ فأنت ناج أبدا نجاة تامة من كل بلية وابتلاء وشدة فى الدنيا والآخرة، ولا ينجو النجاة التامة إلا من كان فى الآخرة فى جنة النعيم، التى لا حزن فيها، ولا خوف، ولا هم، ولا ألم، ينجو نجاة تامة، ويربح ربحًا عامًا فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] «تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا، ولا يشقى فى الآخرة»، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما الهدى حبل الله، الهدى كتاب الله، الهدى سنة رسول الله ﷺ، الهدى البعد عن الابتداع فى الدين، الهدى أن يكون دينه على الكتاب والسنة.

من فعل ذلك كان ناجيًا فى الدنيا والآخرة، رابحًا فيهما.

القرآن كلام الله:

وَقُــلْ غَيْــرُ مَخْلُــوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَـا   بِذَلِــكَ دَانَ الأَتْقِيَــاءُ وَأَفْصَحُــوا
وَلا تَــكُ فِي القُـرْآنِ بالوَقْفِ قَائِـلاً   كَمَــا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْـمٍ وَأَسْجَحُــوا
وَلا تَقُــلِ القُـــرْآنُ خَلْــقٌ قَرَأْتُــهُ   فَإِنَّ كَـــلامَ الله باللَّفْــظِ يُوضَــحُ

قُلْ: واعتقد أن القرآن كلام الله ﷻ، كما دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا عما دانوا به لله فى ذلك، ولا تكن من الواقفين فى القرآن: الذين توقفوا، وقالوا: لا نقول مخلوق أو غير مخلوق، كما قال أتباع الجهم بن صفوان، ولا تقل: لفظى بالقرآن مخلوق، أو قراءتى للقرآن مخلوقة؛ فإن كلام الله لا يظهر، ولا يسمع إلا بلفظك، وهو كلام الله.

بدأ رحمه الله بالكلام على القرآن، واعتقاده فى القرآن بعد أن أمر بالتمسك بالكتاب والسنة فى البيتين الأولين، فيذكر هذه الصفة، وهى صفة الكلام لله ﷻ، وإضافة الكلام إلى الله من إضافة الصفة للموصوف، لا إضافة المخلوق للخالق، كلام الله وقول الله صفة مضافة لله، بخلاف ما قال الجهمية الذين صرحوا بالخَلْقية، قالوا: القرآن مخلوق، والمعتزلة الذين قالوا: إن القرآن كلام الله، وإضافته لله إضافة المخلوق للخالق، أما الأشاعرة والكلابية فأوَّلوا أيضًا، وقالوا: كلام الله: إما كلام نفسى معنىً فى نفسه، أو القرآن الذى نقرأه ليس كلام الله، إنما هو معنى كلام الله، والكل يؤدى إلى إنكار كون القرآن كلام الله حقيقةً.

أما أهل السنة والجماعة، والأتقياء والصالحون يقولون كما أمر الناظم رحمه الله:

وَقُــلْ غَيْــرُ مَخْلُــوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَـا   بِذَلِــكَ دَانَ الأَتْقِيَــاءُ وَأَفْصَحُــوا

أى دانوا لله بهذا الاعتقاد، وبهذا المعتقد بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، كلام واضح، تكلموا بهذا، وأفصحوا بالسنتهم بهذا، أو صرحوا بأن من قال إن القرآن

مخلوق فقد كفر بالله العظيم، فالأتقياء والصالحون أفصحوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال بخلقه فهو كافر، وقد ذكر أبو القاسم اللالكائى فى كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» عن أكثر من خمسمائة إمام من أئمة السلف بأنهم يقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال بخلقه فقد كفر.

ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ   فِي عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

وَاللالِكَائِيُّ الإِمَامُ حَكَاهُ عَنْهُمُ   بَلْ قَدْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

أى ذكر هذا عن هؤلاء النفر من العلماء بأن من قال: القرآن مخلوق فقد كفر.

وَلا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً: أي لا تقف كما وقف هؤلاء الذين حينما ظهر أهل السنة خافوهم؛ فقالوا نحن لا نقول هذا ولا هذا، وهذا منهم تشكك وتردد فى كون القرآن كلام الله، كلام الله حقيقة غير مخلوق؛ فلِمَ يقفون؟ كأنهم يشكون فى هذا المعتقد الصحيح الذى نُقل عن أكثر من خمسمائة إمام وعالم بأن القرآن كلام الله حقيقة غير مخلوق، لا كما قال هؤلاء الواقفة الذى وقفوا عن القول والتصريح بأن القرآن غير مخلوق **كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا**: أى اطمئنت نفوسهم إلى هذا القول، ولم يصرحوا بما صرح به هؤلاء الأئمة.

وَلا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ: أى لا تقل القرآن بقراءتى، أو القرآن بلفظى مخلوق؛ وهى مسألة اللفظ التى أنكرها الإمام أحمد رحمه الله، وقال: اللفظية جهمية. أى الذين يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة هم يقولون بقول الجهم، لكنهم حرفوا القول حين قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو قراءتنا للقرآن مخلوقة، والقرآن بقراءتى ولفظى مخلوق، هذا قول الجهمى، أما من قال قراءتى أنا: أى كسبى وفعلى، وحركة اللسان

والهواء الخارج من الجوف هذه كسب العبد، وهو مخلوق، وأكساب العباد مخلوقة، وكذلك من قال لفظي بالقرآن مخلوق، نقول: له بَيِّن لنا ماذا تريد؟ لأن هذا اللفظ من الألفاظ التي يشترك فيها معنيان.

المعنى الأول: أن القرآن الملفوظ به مخلوق. **والمعنى الثاني**: أن حركة اللسان وفعلي وكسبي أنا مخلوق. فهذه الكلمة تحتمل المعنيين؛ فمن أطلقها نقول له: لا تطلق حتى لا تقع فيما وقع فيه الجهمية، بل بَيِّن لنا، وقيد لنا معنى كلامك هذا، لفظك بالقرآن مخلوق، هل تريد أن القرآن الذي تلفظت به مخلوق؟، أو أن تلفظك أنت، وفعلك أنت، وحركة لسانك وتغنيك وتحسين صوتك هذه أفعالك وأكسابك، تريد أنها مخلوقة؟: إن أراد الأول فهو جهمي، وإن أراد الثاني فلا شيء في هذا القول؛ فإن أصواتنا، وحركات ألسنتنا من أكسابنا، وأكسابنا مخلوقة لله.

لما تكلم هؤلاء بهذا القول لابد أن يبين أهل السنة أن هؤلاء الذين قالوا ألفاظنا بالقرآن مخلوقة مبتدعة، فإن الصحابة لم يتكلموا في مسألة القرآن مخلوق أو غير مخلوق، فلما أحدث المبتدعة القول، رد عليهم أهل السنة بالقول، فلما أحدث اللفظية: القول باللفظ رد عليهم أهل السنة ببيان مرادهم من هذا، والتفرقة بين القول البدعي والقول المقبول الصحيح؛ ولذلك قال رحمه الله في البيت الأخير:

وَلا تُقُلِ القُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ   فَإِنَّ كَلامَ الله باللَّفْظِ يُوضَحُ

مع أنك أنت الذي تلفظت به إلا أنه كلام الله، وكلام الله كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فالإمام أحمد يقول: ممن يسمعه، يسمعه من القارئ، أنت تقرأ وتتكلم بكلام الله؛ فما تقرأه كلام الله، وقراءتك أنت فعلك أنت، تفعل القراءة والقراءة فعلك، والمقروء هو قول الله، فالقرآن كلام الله حيثما تصرف، تكلم به لجبريل، سمعه رسول الله، قرأه رسول الله، سمعه

الصحابة، حفظه الصحابة في صدورهم، وكتبوه في الصحف بل هو ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]؛ فكتبه وقد أمر النبي ﷺ بالكتابة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] هى قول الله؛ فالقرآن حيثما تصرف، هو كلام الله: بألسنتنا مقروء، وبأبصارنا منظور ومرئي، وبأسماعنا مسموع، وفى صدورنا محفوظ، وفى ألواح الصبيان مكتوب، على أى وجه وجد القرآن فهو كلام الله ﷻ: مكتوبًا، مسموعًا، مرئيًا، محفوظًا فهو كلام الله؛ خلافًا لما يقول الجهمية، وخلافًا لما يعتقد المعتزلة والأشاعرة والكلابية الذين ينفون: إما صراحة، أو تلميحًا أن القرآن كلام الله غير مخلوق، كلامه حقيقة، تكلم به حقيقة، أنزله الله على رسوله وحيًا بلسان عربى مبين، يقرأه العرب ويسمعونه، ويفهمون مراد الله ﷻ منه، فالكلام صفة من صفات الله سبحانه، سمع كلامه جبريل، وسمع كلامه موسى عليه السلام، والقرآن مليء بقول الله ﷻ، ونبينا ﷺ كان يقول: «تحملونى على أن أبلغ كلام ربى»(١) وكما ذكرنا الآية: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] كلام الله صفة من صفاته: أى ربنا متكلم، وتكلم ويتكلم سبحانه، وصفة الكلام صفة ذات، وصفة فعل، وصفة الذات هى الملازمة للذات لا تنفك عنها أبدًا، وصفة الفعل متعلقة بمشيئته سبحانه: متى شاء فعل، ومتى شاء لم يفعل، فصفة الكلام باعتبار أصل الصفة فهى صفة ذات ملازمة للذات أزلا وأبدًا، وباعتبار صفة الفعل متعلقة بمشيئته سبحانه فمتى شاء قال، حينما خلق آدم ونفخ فيه من روحه قال للملائكة: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] فشاء أن

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وقد رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي بفلظ: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف، فقال: ألا رجل يحملني إلى قومي، فإن قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٤٧).

يأمر ويتكلم، ويقول للملائكة ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾، وقال لآدم: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٨] وهذا القول قاله الله عندما شاء أن يسكن آدم الجنة، وأن يأمره بأن يسكن الجنة، ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [البقرة: ٣٦] بعد أن وسوس الشيطان لآدم فأكل هو وزوجه من الشجرة قال الله ﷻ لهما: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾، قبل ذلك لم يقل لهم: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾؛ لأنه متعلق بمشيئته، فشاء أن يأمرهم بالهبوط فتكلم، وأمرهم وقال لهم: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾ [البقرة: ٣٨] وهكذا.

وصفة الكلام صفة من صفات الله الذاتية والفعلية، والقرآن من كلامه سبحانه، وليس كل كلامه، حينما يقول العلماء القرآن كلام الله لا يعنون أنه كل كلام الله، بل كلام الله ﷻ لا يحصر: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩] فكلام الله لا حدود له، ولا نهاية له، وصفة الكلام نؤمن بها، وأنها صفة حقيقية لله، صفة ذات، وصفة فعل: يتكلم متى شاء بما شاء ﷻ.

والقرآن من كلامه، وكلام الله صفة من صفاته، وصفات الله غير مخلوقة، وإضافتها إليه إضافة الصفة للموصوف، لا إضافة المخلوق للخالق تعالى الله ﷻ، لأن المضاف إلى الله: إما أن يكون معنًى قائمًا بذاته؛ فيكون صفة من صفاته، وإما أن يكون معنًى قائمًا بذات غير ذاته؛ فهي مخلوقة من المخلوقات كروح الله: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]؛ فإضافتها إلى الله إضافة تشريف، لا إضافة الصفة؛ لأنها متعلقة بذات غير ذاته، أو مضاف إلى الله وهو قائم بذاته، وإضافته إلى الله إضافة المخلوق لخالقه: كبيت الله، وناقة الله، ورسول الله، وعبد الله، فهذه أعيان قائمة بذاتها، فإضافتها إلى الله إضافة تشريف؛ فالمعنى القائم بذات غير ذاته: مثل روح الله فإضافته إلى الله أيضًا تشريف، وكلاهما من مخلوقات الله، أما المعنى القائم بذاته فهو الصفة وإضافتها إلى الله إضافة الصفة للموصوف، وهو كلامه: تكلم الله ﷻ به حقيقة.

رؤية المؤمنين لربهم:

وَقُــلْ يَتَجَلَّــى اللهُ لِلْخَلْــقِ جَهْـرَةً ... كَمَــا البَدْرُ لا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَــحُ

وَلَيْــسَ بِـمَوْلُــودٍ وَلَيْــسَ بِوَالِــدٍ ... وَلَيْــسَ لَهُ شِبْــهٌ تَعَالَــى المُسَبَّــحُ

وَقَــدْ يُنْكِــرُ الجَهْمِيُّ هَـذَا وَعِنْدَنَـا ... بِمِصْــدَاقِ مَــا قُلْنَــا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيــرٌ عَــنْ مَقَــالِ مُحَمَّــدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَــحُ

هذه الأبيات تثبت الرؤية لله ﷻ، وأنها رؤية حقيقية، وكوننا نراه سبحانه لا يقتضى هذا التشبيه أو التمثيل؛ فهو واحد سبحانه جل وعلا، وهو موجود ﷻ ليس معدومًا، وهو ﷻ ليس له والد، وليس له ولد، ولم يكن له كفوًا أحد، إن أثبتنا رؤيته - وتراه الأعين - ويراه المؤمنون فى الجنة ليس هذا مقتضيًا لتشبيهه سبحانه، فسبحان المُسَبَّحُ الذى ليس له شبيه، وقد ينكر الجهمى هذا: ينكر رؤية الله ﷻ فى الآخرة، كيف ونحن عندنا الحديث الصحيح المصرح برؤية الله ﷻ فى الآخرة وهو حديث جرير بن عبد الله الذى رواه عن رسول الله ﷺ؟! فقل كما قال هؤلاء بالإيمان برؤية الله فى الآخرة تكون من الناجين المفلحين الذين يتبعون الكتاب والسنة، الذين لا يخرجون عنهما، ويسلكون سبيل الهداية.

يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ: المقصود بهم المؤمنون، وهذا التجلى، وهذه الرؤية رؤية الإنعام، ورؤية الثواب والجزاء من الله ﷻ؛ لأن الكفار لا يرون الله ﷻ رؤية الإنعام والثواب، بل قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ويثبت الله الرؤية للمؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] والنظر إذا أضيف للوجود فيراد به النظر بالأعين التى فى الوجه، للعين التى فى الوجه، لا يقال ناظرة: أى منتظرة تأويل الجهمية الذين ينكرون رؤية الله ﷻ يقولون: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

يقولون إلى ثواب ربها منتظرة، وهذا تأويل لينفوا رؤية الله انطلاقًا من عقيدتهم الفاسدة، التى هى عقيدة التحريف والتعطيل لصفات الله ﷻ، فالمؤمنون يرون ربهم حقيقة، رؤية حق لا يمترون فيها، لا شك فيها، ولاريب فيها رؤية حقيقية.

يَتَجلَّى الله لِلْخَلْقِ: أى للمؤمنين **جَهْرَةً**: أى عيانًا يرونه بأعينهم، ليس بينهم وبينه ما يحجبهم، ولا يمنع من هذه الرؤية مانع **(كما البدر لا يخفى، وربك أوضح)**، يرون الله بعد أن يتجلى لهم رؤية حقيقية كما يرون البدر، رؤية مؤكدة، وأوضح وآكد من رؤيتهم البدر فى الدنيا رؤيتهم وجه الله ﷻ بعد أن يتجلى لهم.

كما البدر لا يخفى: أى ليلة الرابع عشر من الشهر وقد قال النبى ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لا تُضَامُونَ فِى رُؤْيَتِهِ**»، والحديث فى الصحيحين من حديث جرير وهو الذى يشير إليه، وقد قال الله كما ذكرنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: نضرة حسنة بهية بسبب نظرها إلى الله، وقد قال ربنا ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] والحسنى هى الجنة، والزيادة كما فسرها النبى ﷺ فى صحيح مسلم من حديث صهيب هى «**النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الله**»، الزيادة التى يعطاها أهل الجنة هى النظر إلى وجه الله ﷻ حينما يتجلى لهم ربهم ﷻ، وهو مع ذلك لا مثيل له، ولا شبه له، سبحانه أن يكون له شبيه أو مثيل، سبحانه أن يكون له نظير؛ فهو الذى لم يلد ولم يولد، وما من مولود فى الدنيا إلا وله والد، والله ﷻ لم يلد ولم يولد، ليس له مثيل فى هذه الوحدانية، لم يكن له كفوًا أحد، لا يكافئه أحد فى صفاته سبحانه، واحد ليس له أصل ولا فرع، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة، إنما يحتاج لذلك: أن يكون له أصل وفرع، وله صاحبة الفقير المحتاج، أما الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ليس له مكافئ ولا مثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ليس كمثله شيء:

وفى قوله رحمه الله:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

لأن هؤلاء المنكرين للرؤية يقولون لو رأيناه لأدركناه وأدركته الأبصار، وكيف تدرك الأبصار الله عز وجل؛ فينزه رحمه الله كما نزه الله نفسه، ونزهه رسوله ﷺ، ونزهه المؤمنون تبارك وتعالى، ليس له شبه، ليس له مثيل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ليس له سمى ولا مثيل، ولا شبيه ولا نظير تبارك وتعالى.

فنثبت الرؤية كما أثبتها الله، وكما أثبتها رسوله: دون تشبيه، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(١) لا يعنى تشبيهًا الله بالقمر، وإنما التشبيه بين الرؤيتين، ترون الله رؤية حقيقية كرؤيتكم القمر ليلة البدر لاشك فيها، وكما ترون الشمس.

كَمَا: ما مصدرية تدخل على الفعل ترون، وتأوله إلى مصدر: يعنى كرؤيتكم القمر: ترون الله كرؤية القمر، فالتشبيه داخل على مصدر: وهو الرؤية، فالتشبيه للرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ» سترون ربكم كرؤية القمر، سترون ربكم رؤية حقيقية كرؤية الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، فيتجلى الله للخلق للمؤمنين فى الجنة، ويراه المؤمنون عيانًا بأعينهم التى فى رءوسهم؛ التى

---

(١) لفظ مسلم: كان النبي ﷺ إذا نظر إلى القمر ليلة البدر قال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته.

البخاري كتاب مواقيت الصلاة – باب فضل صلاة الفجر، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

تعود عليهم هذه الرؤية بالنضرة والحسن والجمال والبهاء، كما أخبر الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] لأنها: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وإذا كان الله يخبر عن الكفار بأنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون هذا يدل على أن المؤمنين عن ربهم غير محجوبين.

وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا الحديث والرؤية، وهذا المعتقد، **وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ** مصحح: أى حديث صححه الأئمة يؤيد ما قلناه من رؤية الله ﷻ. **رَوَاهُ جَرِيرٌ**: وهو جرير بن عبد الله البجلى، **عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ** ﷺ: أى رواه جرير عن النبى ﷺ؛ **فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ** رسول الله ﷺ، مثل ما روى جرير عن رسول الله ﷺ، **فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ**: فالنجاح متعلق بالاعتقاد والقول المطابق لما جاء به رسول الله ﷺ.

يد الله فوق أيديهم:

وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ   وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

فى صفة اليد لله ﷻ قد وردت جملة أدلة تثبت هذه الصفة من صفات الله ﷻ، وصفة اليد من صفات الذات، وكما تقدم صفات الذات هى التى لا تنفك عنها ذاته سبحانه، وصفة اليد من صفات الذات السمعية التى وردت فى كتاب الله، وفى سنة رسول الله، ومن الصفات الخبرية يقول العلماء: هي التى نظائرها أبعاض للمخلوق، وليست مماثلة، والله كما تقدم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: ليس له ما يساميه أو يدانيه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: ليس له مكافئ أو نظير سبحانه.

والله له ذات ليست كسائر الذوات، وصفات ليست كسائر الصفات، وأفعال ليست كسائر الأفعال، وهو واحد متفرد جل وعلا بالوحدانية فى هذه الأمور كلها،

يؤمن بذلك أهل السنة أتباع السلف، الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، و ما نفاه عنه رسوله، والناس فى صفات الله عمومًا على طرفين ووسط: طرف أثبت وغالى فى الإثبات: حتى شبه، أو مثل، أو كيَّف، وطرف نزه وغالى فى التنزيه حتى عطل وأنكر، والوسط الذى عليه الأمة الوسط التى اختارها الله قائدة للناس، أمة الإسلام الحق؛ وهو الذى كان عليه النبى ﷺ وأصحابه، والتابعون وتابعوهم إلى زماننا هذا، أو بعد زماننا هذا «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله**»[1] ظاهرين على الحق، والحق المبين هو الذى جاء به النبى ﷺ، والذى أمر الناظم فى بدايته أن نكون عليه. **تَمسَّكْ بِحَبْلِ الله وَاتَّبِعِ الهُدَى، وَدِنْ بكِتَابِ الله وَالسُّنَنِ الَّتِي** هذه الأبيات التى كان عليها وعلى معناها الأمة الوسط.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]: وسط بين غلو المثبتين الممثلين، وغلو النافين المعطلين؛ فأهل السنة فى الفرق كأهل الإسلام فى سائر الأمم وسط فى باب الأسماء والصفات: طائفة أثبتت وغالت، وطائفة نزهت وغالت، وهى وسط: إثبات مع تنزيه، تأخذ جزءًا من هذه المثبتة دون غلو، وجزءًا من هذه المنزهة دون غلو فى التنزيه حتى صار تعطيلا، فهي مثبتة منزهة: إثبات بغير تمثيل، وتنزيه بغير تعطيل، وسط على الصراط المستقيم، هاتان الطائفتان اللتان خالفتا السبيل الوسط، وسبيل الحق فى الأسماء والصفات، كما ذكرنا المشبهة أو الممثلة الذين أخذوا آيات الأسماء والصفات وأثبتوها، وأثبتوا معانيها لله على غير مراد الله، فإثبات الصفات لله كما أثبتها الله لنفسه، وكما أثبتها له رسوله ﷺ، لا نثبتها وفقط، لا نقول نثبت لله الأسماء والصفات من غير أن نقيد بقولنا كما أثبت: أى كإثبات الله لنفسه، أثبت الله ﷻ

(١) رواه مسلم كتاب الإمارة.

أسماءً لها معان، وصفات لها معان، نثبتها كما أثبتها لنفسه، وكما أثبتها لـه رسـوله ﷺ، نزه الله ﷻ نفسه أن يكون له مثيل أو شبيه، أو كفؤ، أو سميٌّ أو مدان؛ فننفى هذا عن الله ﷻ، وننفى عنه كل نقيصة؛ فهو ﷻ نعتقده كما أخبرنـا، وكمـا أخبرنـا رسـوله ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تنزيه ونفى المثيل من غير تعطيل بإثبات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذه الآية هى القاعدة التى ينطلق منها أهل السنة كما ذكرنا قولهم إثبات بغير تمثيل، وتنزيه بغير تعطيل؛ فمن الصفات التى تثبت لله ﷻ، وأثبتها الله لنفسه فى كتابه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وآله وسلم صفة اليـدين، ذكر الله ﷻ هذه الصفة فى كتابه ﷻ، وهنا يقول الناظم:

وَقَدْ يُنْكِـرُ الجَهْمِـيُّ أَيْضًـا يَمِينَهُ ... وَكِلْتَـا يَدَيْـهِ بالفَواضِـلِ تَنْفَـحُ

بالنعم والأمور الفاضلة، تَنْضَحُ: تجود، و تَنْفَحُ: تعطى أيضًا عطاءً جـودًا، ونثبـت له اليمين ﷻ، له يدان، وله يمين وأخرى، كلتا يديه يمين كما سيأتى، فنؤمن أن لله ﷻ يدين، لا ننكر ذلـك إنكـارًا قبيحًـا: لا نقـول لـيس لله يـدان، أو ننكـر ذلـك إنكـارًا بالتأويل؛ فنقول له يدان، وله يد ولكن بمعنى القدرة أو النعمة أو القـوة، يئـول الأمـر فى النهاية إلى تعطيل صفة اليـد واليـدين لله ﷻ؛ فالجاحـد النـافى أصـلا، والمُئـوِّلُ المُحَرِّفُ يصلان فى النهاية إلى عدم إثبات الصفة لله ﷻ، وكونها حقًا على حقيقتها على مراد الله ﷻ، وعلى كيفية يعلمها ﷻ، وهـؤلاء الـذين يظنـون أنهـم نزهـوا الله بتعطيلهم ربنا ﷻ عن الصفة ضلوا السبيل؛ فالله ﷻ نزه نفسه، وسبح نفسه، مـع أنـه أثبت الأسماء والصفات، وأعظم الخلق تنزيها وتسبيحًا لله هـو رسـول الله ﷺ، ومـع ذلك أثبت هذه الصفات لله ﷻ، وكما يقول العلماء: هؤلاء المعطلة هم فـى الأصـل ممثلـة أو مـشبهة أو مكيفـة: أولا أثبتـوا الـصفة لله فـشبهوها، أو مثلوهـا بـصفات المخلوقين، أو كيفوها تكييفًا فى عقولهم؛ فلما وصلوا إلى هذا الحد، وأن صفة الله ﷻ

مثل صفة كذا، أو على كيفية كذا وكذا؛ فقالوا إذًا لما صار له مثل وشبيه لابد أن ننزهه عن الشبيه والمثيل؛ فننفى هذه الصفات ولا نثبتها، أو نأولها ونحرف معانيها، نأولها تأويلا سائغًا فى ظنهم ومعتقدهم؛ فحرفوا الكلم عن مواضعه، وقالوا اليد: نعم، نثبت لله اليد لكن ما معناها؟ معناها: النعمة، القدرة، القوة، إذًا لم يثبتوا اليد لله ﷻ، قالوا لله يد إذًا مثل أيدينا، والله منزه عن المثلية، إذًا لا يد له، فكما يقول العلماء: المعطلة فى الأصل ممثلة مشبهة، ثم آل بهم الأمر إلى هذا التعطيل، فالغلاة فى التمثيل يقولون: الله ﷻ له عينان كأعين المخلوقين، له يدان كأيدى المخلوقين، له يدان كأيدى المخلوقين، له وجه كوجوه المخلوقين، أو كوجوهنا، وما إلى ذلك، حتى جعلوا الله ﷻ وثنًا، أوصنمًا يُعبد، ولذلك يقول العلماء: الممثل يعبد صنمًا لأنه يعبد شيئًا محسوسًا له يدان وعينان ووجه وبدن، وما إلى ذلك فيعبد صنمًا، والمعطل - الذى عطل الله عن صفاته - يعبد عدمًا، يعنى يقال له تعبد الله؟ يقول نعم، تقول له: له يدان؟ يقول: لا، لا يد له، تقول له: له عينان؟ يقول: لا، لا عينان له، تقول له: له قدم ؟ لا، تقول له: يضحك، يفرح، يعلم، يسمع، يبصر؟ لا، لا. إذًا عطل الله عن الصفات، ولا يوجد موجود فى الوجود إلا وله صفات، فمن عُدم الصفات هو العدم، يعنى الذى لا صفة له هو العدم، يعنى صف لى العدم؟ هو العدم الذى لا يوصف؛ فالذى لا صفة له هو العدم، فلذلك كما يقولون يقال لهؤلاء عندما يقول الواحد من هؤلاء عندى نخلة، تقول له صف لى جذعها، يقول: لا جذع لها، صف لى سعفها، يقول: لا سعف لها. صف لى تمرها، يقول: لا تمر لها، قل له: إذًا ليس عندك نخل، تعبد من؟ يقول: أعبد الله، سميع يقول: لا سمع له، له بصر، يقول: لا بصر له، له يدان، يقول: لا يدان له، له قدم يقول: لا قدم له، له وجه يقول: لا وجه له، لا، لا، لا، نفى نفى؛ إذًا أنت تعبد عدمًا، فيقولون: الممثل يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا، والمثبت المنزه يعبد الله الذى

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، كما أخرج الله اللبن السائغ للشاربين من بين فرث ودم، فخرج أهل السنة والجماعة والعقيدة الصحيحة من بين فرث التعطيل ودم التأويل والتمثيل، عقيدة صحيحة صافية مبناها الكتاب والسنة على منهج السلف الذين فهموا وعقلوا عن الله مراده، وعن رسوله ﷺ، وصفة اليد كما ذكرنا صفة لله ﷻ من صفات الذات السمعية الخبرية، وكما قلنا صفة الذات هى التى لا تنفك عنها الذات، بخلاف صفة الأفعال التي هي متعلقة بالمشيئة، وصفة سمعية يعنى ورد السمع بها من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ، وصفة خبرية كما يقول العلماء على سبيل التقريب التى نظائرها أبعاض للمخلوق، يعنى يد الله ﷻ صفة ذاتية سمعية خبرية حقيقية تليق بالله ﷻ، صفة القدم، صفة الوجه، صفة السمع، صفة البصر، لله ﷻ يدان، لله ﷻ عينان، لله ﷻ سمع يسمع به تعالى، لله ﷻ وجه ينظر إليه المؤمنون فى الجنة كما تقدم، لله ﷻ قدم يضعها فى النار حتى ينزوى بعضها إلى بعض، لله ﷻ نفس وذات تعالى، إثبات ما أثبت الله لنفسه، فصفة اليد صفة سمعية خبرية حقيقية ذاتية على كيفية يعلمها الله ﷻ، ولا نعلمها نحن، يقول الله ﷻ فى إثبات صفة اليد مخاطبًا إبليس حين أمره أن يسجد لآدم فأبى فقال له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] يعنى إثبات اليدين لله ﷻ، وقال الله ﷻ مكذبًا اليهود الذين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال الله ﷻ ولعنهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] لعنهم الله ﷻ على وصفهم يد الله بأنها مغلولة: يعنى مقيدة لا تعطى ولا تنفق؛ فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ فالله ﷻ ينفق ويعطى، ويبسط يديه كما قال النبى ﷺ «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١) والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ

(١) رواه مسلم: كتاب التوبة – باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ ﴾ [الزمر: ٦٧] إثبات اليد لله ﷻ، واليمين لله ﷻ، يطوى السماوات بيمينه ﷻ، ثم ينزه نفسه ﷻ عما يشركون، سبحانه أن تشبه يمينه يمين المخلوقات: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] تعالى عن شرك المشركين الذين أشركوا غيره معه ﷻ في عطائه، أو في صفاته، أو في أفعاله جل وعلا، والنبي ﷺ يقول: «**يَمِينُ الله مَلأَى، لا يُغَيِّضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**»(١) أي تعطي عطاءً لا حدود له ليلا ونهارًا، إثبات صفة اليد واليمين لله ﷻ، والنبي عليه الصلاة والسلام يذكر حينما خلق الله آدم فقال له اختر أو خير يا آدم، قال: «**اِخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ**»(٢)، إذًا أثبت لله ﷻ يدين واختار اليمين منهما: والنبي ﷺ **يخبر أن الله يوم القيامة يقبض السماوات بيمينه والأرض بشماله**»، وهذا الحديث في صحيح الإمام مسلم، وإثبات الشمال لا ينفي أن كلتا يديه يمين، كما جاء في حديث آدم: «**كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ**» أي من اليُمْن والبركة؛ حتى لا يظن ويعتقد معتقد في يد الله ﷻ الأخرى بأنها تشبه أيدي المخلوقين من الضعف أو غير ذلك؛ فكلتا يديه يمين من اليُمْن والبركة والقوة والنفقة والعطاء ﷻ، ويبسط الله ﷻ يديه بالعطاء، ويبسط الله ﷻ يده لقبول توبة التائبين، فالغلاة الذين غالوا في الإثبات قالوا: يد كأيدينا، وهؤلاء أثبتوا لكن بغلوٍّ، ونحن أثبتنا مع التنزيه: لله يدان حقيقيتان، وأثبت النبي ﷺ لله ﷻ صفة الأصابع؛ نثبتها لله ﷻ كما أثبتها له رسوله ﷺ مع التنزيه عن أن يشبه شيئا من مخلوقاته، أو أن تشبهه شيئا من مخلوقاته ﷻ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد – باب وكان عرشه على الماء، ومسلم: كتاب النفقة – باب الحث على النفقة، وتبشير المنفق بالخلف.

(٢) رواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن –باب ٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٣).

«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، فالمقسطون على يمين الرحمن جل وعلا فى الجنة، وهؤلاء المقسطون: «الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي أَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا»[1] كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم. إذًا إثبات صفة اليدين، وإثبات اليمين لله ﷻ، وأنهما يدان حقيقيتان، على ما يليق بالله ﷻ، على كيفية لا نعلمها نحن، إنما يعلمها الله ﷻ؛ فقد قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] لا يحيطون إدراكًا لله ﷻ: لا لذاته، ولا لصفاته ﷻ، فنحن نؤمن بهذه الصفات على المعنى المعلوم عندنا، والكيف المجهول، ومن سأل وبحث عن الكيف فسؤال مبتدع، وصار هذا السائل مبتدعًا؛ لأنه سأل عن أمر لم يُسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يسأل عنه رسول الله ﷺ ربه، بل الله ﷻ أنزل عليه القرآن بلسان عربى مبين، علم معناه وقرأه النبى ﷺ على الصحابة؛ فعلموا معناه ومراد الله ﷻ منه؛ لأن القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]: مُبيِّن واضح لا لبث فيه، اختاره الله ﷻ لهم وهم أهل اللسان: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فتدبروه وفهموه، النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ عليهم القرآن؛ فيعلمون مراد الله من هذا الكلام؛ حتى إن المشركين لما أمرهم النبى ﷺ وقرأ عليهم القرآن عرفوا مراده؛ لأنه كلمهم بلسانهم، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] يعنى هو لم يقل لهم آلهتكم هذه باطلة، والإله واحد، وإنما قال لهم قولوا لا إله إلا الله، ضمن هذا النفى والإثبات أن آلهتهم باطلة، وأن الإله الواحد هو الإله الحق، حينما قال لهم قولوا لا إله إلا الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] قال لهم قولوا لا إله

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية.

إلا الله، لم يفسرها لهم النبى ﷺ؛ لأن القرآن بلسانهم، والكلام بلسانهم، فأسماء الله الواردة فى القرآن، وصفات الله الواردة فى القرآن سمعوها، وآمنوا بها، وعلموا معانى هذه الكلمات التى تكلم الله ﷻ بها، ولم يبحثوا عن الكيف، لأن الكيف غيب بالنسبة لنا، وكما قال بعض العلماء: إن الله أعلمنا بأنه استوى، ولم يعلمنا كيف استوى؛ فنحن نقول ونعتقد بما أعلمنا الله، ونكف عما لم يعلمنا الله ﷻ، لله يدان، المعنى صحيح حقيقة نعلم هذا؛ لكن كيف؟ هذا من علوم الغيب التى لا يعلمها إلا الله ﷻ؛ ولذلك لما جاء الرجل إلى الإمام مالك فقال له يا إمام: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ لم يقل له ما معنى استوى؟ لأن المعنى معلوم، إنما سأل سؤالا لم يسأله أحدٌ قبله، وأراد من الإمام أن يجيب جوابًا لا علم له به؛ ولذلك قال له: الاستواء غير مجهول - يعنى معلوم، كما جاء فى القول الآخر: والكيف غير معلوم، وما أراك إلا مبتدعًا، لأنه ابتدع السؤال، والمسألة التى لم يسبق إليها، ونحن لا نعلم من الغيب إلا ما أعلمنا الله، والله ﷻ غيب ﷻ لا نعلم عنه شيئًا إلا ما أعلمنا إياه، لو أن الله ﷻ لم يخبرنا بأن له يدين لما لقلنا بذلك، وأن له وجهًا ﷻ لما قلنا بذلك، وأنه ﷻ يفرح ويغضب وينزل، واستوى على العرش ﷻ، ويجيء ويأتى ﷻ، ويرضى، لو لم يعلمنا ذلك ما قلنا به، فنحن نقف على ما جاءنا من الله، على لسان رسول الله ﷺ، فصفة اليدين صفة ذات من الصفات الخبرية السمعية، نؤمن أن لله ﷻ يدان، وأنه ﷻ يقبض ويبسط بيديه ﷻ، وخلق آدم بيديه ﷻ، وخط التوراة بيده ﷻ، وغرس جنة عدن بيده ﷻ، وذكر هذه الأشياء تدل على أن لله تعالى يدًا على الحقيقة، على الكيفية التى يعلمها ﷻ؛ فالذين يقولون يد الله بمعنى القدرة، أو بمعنى القوة، أو النعمة هذا تعطيل لله ﷻ عن هذه الصفة، وهو يزعم أنه ينزه الله يقول: نعم ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] يعنى نعمتاه، قدرتاه، سبحان الله! وهل لله نعمتان فقط،

وقدرتان وقوتان تعالى الله عما يقولون ﷻ عما يشركون، حين يخبر أنه ﷻ يقبض الأرض والسماوات يطويها بيمينه ﷻ يقول: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] الذين عطلوه عن هذه الصفة، أو الذين مثلوا أو شبهوا صفته ﷻ بصفات المخلوقين فيقول رحمه الله:

وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ: كما أنكر قبل ذلك صفة الكلام، وهذه صفة اليد، **وَقَدْ**: هنا للتحقيق والتكثير؛ لأن الجهمية يقولون بذلك، والتأكيد على قولهم؛ لأن قد عادة أو غالبًا تدخل على المضارع فتفيد التقليل، وتفيد التكثير، وهنا تفيد التكثير والتحقيق، والتأكيد أن الجهمية ينكرون أيضًا كما أنكروا صفة الكلام لله ﷻ، يقول رحمه الله **وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفَواضِلِ تَنْفَحُ أو تَنْضَحُ**، لله ﷻ يدان: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] تنضح وتنفح يعني تعطي عطاءً، وعطاء الله ﷻ للخلق جميعًا، لا ينقص ما في يديه؛ وفي الحديث: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقِصْ مَا فِي يَمِينِهِ**»(١)، وكما قال النبي ﷺ في الحديث القدسي عن رب العزة: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ المَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**»(٢) كلتا يديه تنفق نفقة كثيرة غزيرة ليلا ونهارًا، ومع ذلك لا ينقص، ولا تغيض «**لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ** مع أنها **سَحَّاءُ** أي معطاءة **اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﷻ» إثبات صفة اليدين لله ﷻ، وأنهما يدان حقيقيتان - على ما يليق بالله ﷻ - إثبات بغير تمثيل، أو تشبيه مع التنزيه الذي لا يقتضي التعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد - باب وكان عرشه على الماء، ومسلم: كتاب النفقة - باب الحث على النفقة، وتبشير المنفق بالخلف.

(٢) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم.

له يدان، له عينان، له سمع: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا كيده ولا كوجهه ولا كعينه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لا شئ من المخلوقين يشبهها.

ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا:

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بلا كَيْفٍ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ

إِلَى طَبَقِ الدُّنيَا يَمُنُّ بفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُولُ أَلا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

في هذه الأبيات يشير الناظم إلى صفة من صفات الله: وهى من صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته ﷻ، وصفات الأفعال غير صفات الذات، فصفات الذات هى التى لا تنفك عنها الذات أبدًا، وصفات الأفعال متعلقة بمشيئته: متى شاء فعل، والنزول صفة من صفات ربنا جل وعلا الفعلية، وأنه ينزل متى شاء: بلا تمثيل بنزول المخلوقين، ولا تكييف لنزوله فى العقول والأذهان، وهذا من منطلق القاعدة التى ينطلق منها أهل السنة فى أسماء الله وصفاته: إثبات بغير تكييف ولا تمثيل، وتنزيه بغير تعطيل، وصفة النزول لله جل وعلا ثابتة بالتواتر عن رسولنا ﷺ؛ وهو أفصح الخلق وأعظمهم بيانا لمراد الله، وأعلم الخلق بالله ﷻ، وحينما يصف ربنا جل وعلا بأنه ينزل فقد بَيَّن بيانًا واضحًا، وتكلم كلامًا صريحًا فصيحًا فهم منه من سمعه النزول الحقيقى لله رب العالمين، ولا يُئَوَّل هذا الحديث، وتُئَوَّلُ هذه الصفة تأويلا يخرجها عن معناها الحقيقى؛ فيقال ينزل أمره، أو ينزل ملك من عنده؛ ففى هذا تحريف وتعطيل للنص، وتأويل على غير وجهه، خلاف ما يعتقده أهل السنة أتباع السلف، الذين يقبلون ما جاء عن

الله، وعن رسوله ﷺ، ويقولون بظاهره، لا يحرفون الكلم عن مواضعه، وحديث النزول رواه عن النبى ﷺ ثمانية وعشرون صحابيًا كلهم سمع ذلك من رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ»(١) وكلهم نقل ما سمع من رسول الله ﷺ، والحديث كما ذكرنا متواتر عن رسول الله يقينًا قاله النبى ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» وهو فى الصحيحين، وغيرهما من حديث أبى هريرة وغيره من الصحابة ﷺ.

فهؤلاء المغيرون المحرفون الكلم عن مواضعه، الذين عطلوا ربنا جل وعلا عن هذه الصفة: صفة النزول التى يمن الله فيها على عباده حينما ينزل إلى سماء الدنيا، ويقول هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل حاجة فأقضي حاجته، إلى آخر هذه النداءات من ربنا جل علا للخلق جميعًا، هؤلاء الذين غيروا لفظ النبى ﷺ من الجهمية المعطلة وأشباههم يقال لقولهم ولتحريفهم هذا الحديث: ينزل أمره، أو ينزل ملك من الملائكة، أَوْ لا يفهم مراد النبى ﷺ من هذا الحديث؟ يقال لهم: هل رسول الله ﷺ لم يبين لأمته مراد الله، وعجز عن البيان والإفصاح عن مراده من كلامه، أم بينه؟ إن قالوا لم يبين ولم يفصح فهذا اتهام للنبى ﷺ بأنه لم يمتثل أمر الله للبلاغ المُبِين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فالنبى ﷺ بلّغ وبيّن البيان المبين، أو يقال لهم إن رسول الله ﷺ بلّغ كلاما لا يفهم معناه ولا مراده منه، فهذا أيضًا اتهام للنبى ﷺ بأنه تكلم بكلام لا تعرفه العرب الذى كان واحدًا منهم، ويخاطبهم بلسانهم، ويكلمهم بكلام عربى مبين.

(١) رواه البخاري: أبواب التهجد – باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

أو يقال لهم إنكم علمتم من الله ما لم يعلمه رسول الله ﷺ، فإذا قالوا نحن أعلم بالله من رسول الله فقد كفروا، وإن قالوا الرسول أعلم بالله منا يقال لهم فلم لم تُسَلِّمُوا، ولم تؤمنوا بما جاء به النبى، وتأخذوه على ظاهره، الرسول علم وبلغ بلاغًا مبينًا فما علينا إلا التسليم والقبول، والانقياد لكل ما جاء به رسول الله ﷺ، وما تكلم به فى هذا الحديث فهمه الصحابة عنه، وعرفوا يقينا أن ربنا جل وعلا ينزل إلى سماء الدنيا، من أجل ذلك كانوا يستحبون الصلاة آخر الليل لنزول الرب جل وعلا ومناجاته للقائمين والداعين والسائلين والمستغفرين، كانوا يستحبون الصلاة آخر الليل لتصديقهم وإيمانهم بأن الله ﷻ ينزل فى ثلث الليل الآخر نزولا يليق بجلاله، نزولا لا يشبه نزول المخلوق، ينزل مع علوه ﷻ، ينزل مع استوائه على عرشه، والذين يقيسون نزول الرب بنزول غيره ظنوا أنه ينزل يعنى يخلو منه المكان، ويخلو منه العرش، ويتحرك وينتقل، قاسوا أولا ربنا جل وعلا بالمخلوقين، وقاسوا صفاته على صفات المخلوقين، فلما عظم عليهم ذلك نفوا هذه الصفات، وقالوا لا ينزل؛ لأنه لو نزل لخلا منه المكان، ولكان منتقلا من مكان إلى آخر، ولكان متحركًا يزول من مكان ويحل فى مكان، والحركة والانتقال والخلو وما إلى ذلك من صفات المخلوق، والله منزه عن صفات المخلوق، ثم يعطلون هذه الصفة عن الله ﷻ، فالأصل أن المعطلة ممثلة أو مكيفة: يقولون ينزل مثل نزول المخلوق، أو ينزل على كيفية كذا وكذا يكيفونها فى عقولهم، ثم أرادوا تنزيه الله فينفون عنه هذه الصفة؛ إذًا لا بد من تقدير، وقدروا وقالوا: ينزل أمره، أو ينزل ملك من عنده ردًا على رسول الله ﷺ، والله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ليس: نفى للمثلية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] إثبات بلا كيفية نعلمها، ولا تمثيل، إثبات الصفات مع عدم تكييفها وتمثيلها كما قلنا مرارًا فى الأسماء والصفات، وكما فى كلمة التوحيد نفى وإثبات، نفى للألوهية عما سوى الله وإثباتها لله، نفى للمثلية فى صفات الله وإثبات الوحدانية والتفرد فى صفاته وأفعاله جل علا.

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ: قل أيها السني المتبع للسلف الصالح إن الله ﷻ ينزل فى كل ليلة نزولا يليق بجلاله، ثم قال: **بلا كَيْفٍ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ**: ينزل بغير كيف نعلمه: لا نفى الكيفية مطلقا؛ لأن نفى الكيفية إثبات للعدم، أما النفي نفى لعلمنا الكيفية؛ الله ﷻ ينزل بكيفية يعلمها ولا نعلمها نحن، يتصف بالصفات وكيفية الصفات يعلمها ولا نعلمها نحن؛ لأننا لا نحيط به علما سبحانه؛ فينزل نزولا بكيفية لا نعلمها نحن، ويعلمها الله ﷻ، وذكر **الجَبَّارُ** وهذا الاسم يناسب هذا النزول؛ لأن الجبار من أسماء الله التى تدل على العلو والقهر، وتدل على مناجاة العبد ليجبر الكسير، ويغيث الملهوف، ويجيب السائل والداعي، **وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ** العلي علو الذات، وعلو القدر والشأن، وعلو القهر، ينزل وهو العلي ليجبر الكسير، ويغفر للمستغفر.

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ: أمر لك أيها السني الذى تتبع قول الله وقول رسوله، وتتبع قول السلف الصالح، وقوله **جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ**: أى عظم سبحانه، عظم عن التكيف والتمثيل، وعظم عن التعطيل ﷻ جل فى علاه، وعظم شأنه وقدره وقهره ﷻ جل عن المثلية، وجل عن التعطيل لصفاته ﷻ، الواحد المتفرد بنعوت الكمال، وصفات الجلال ﷻ، **المُتَمَدِّحُ** الذى يَتَمَدَّحُ على عباده، ويمدحه عباده المؤمنين، ويثنون عليه بنعمه التى أعطاهم، والتى لا يحصون لها عدا، ولا يحصرونها.

ينزل الجبار ﷻ **إِلَى طَبَقِ الدُّنيَا** إلى سماء الدنيا، والسماء الدنيا طبق على الأرض؛ وهو الغطاء، وكل سماء طبق على التى دونها، وخلق الله سبع سماوات طِباقا، كل واحدة تغطى الأخرى وتعلوها؛ فينزل الله ﷻ **إِلَى طَبَقِ الدُّنيَا**: أى التى تغطى هذه الدنيا **يَمُنُّ بفَضْلِهِ**: يعطى عطاءً جزيلا، ويتفضل ﷻ بأنواع الخيرات والهبات؛ **فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ**: فإن للسماء أبوابا تفتح لصعود الدعوات فى

تلك الساعة، وكما ذكر ربنا جل وعلا عن المشركين الذين ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الشورى: ١١].

فتفرج وتفتح للمؤمنين أبواب السماء فى تلك الساعة، فى ثلث الليل الأخير يقول ربنا جل وعلا لا الملك لأنه لا يليق، وقد جاء فى هذا الحديث فى بعض ألفاظه أن النبى ﷺ يقول: «يَقُولُ الله لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِى غَيْرِى»[1] – فهل يليق بالمَلَك أن يقول لا أسأل عن عبادى غيرى، يقول هل من مستغفر فأغفر له، فهل يليق بالملَك أن ينصب نفسه غفارًا للذنوب، هل من طالب حاجة أو من سائل أو مستمنح، هل يليق بمَلَك أن ينفرد دون الله ويقول للعباد من البشر هل من مستغفر، هل من تائب، هل من سائل حاجة فأقضى حاجته.

وفى هذا رد على هؤلاء المعطلة الذين ينفون هذه الصفة، فلا يجوز للمَلَك أن يقول من يستغفرنى فأغفر له، من يسألنى فأعطيه، ولا يليق أن يقول لا أسأل عن عبادى غيرى تعالى الله القائل ذلك هو رب العالمين، وهو الذى بيده المنح والمنع، والمغفرة والمؤاخذة، والإعطاء وما إلى ذلك مما يقوله الله ﷻ فى تلك الساعة فى نزوله ﷻ يناجى حقيقة، ويتكلم جل وعلا، ويحرك النفوس لأن تتجه إليه بالتوبة والسؤال والاستغفار والدعاء وطلب الحاجات؛ فهو ﷻ يناجيهم ويقول: هل من تائب؟ هل من مستغفر؟ هل من طالب حاجة؟ حتى يطلع الفجر.

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ: يعنى روى حديث النزول الصحابة العدول الذين لا يرد حديثهم، وهم الذين نقلوا لنا القرآن وسنة رسول الله ﷺ، نقلوا لنا الصلاة والزكاة والحج والصيام، وسائر أمور الدين التى نعمل بها بناءً على نقولاتهم وحديثهم، هم الذين رووا نزول الرب، هم الذين رووا القرآن ونقلوه لنا، هم الذين

---

(١) رواه ابن حبان والطبراني والنسائي، وقال شعيب الأرنئوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

رووا لنا صفة الصلاة، وصفة الزكاة، وهيئات الحجاج، وغير ذلك من أمور الدين التى قبلناها منهم؛ فلماذا نصلى خمس صلوات؟ ليس فى القرآن خمس صلوات، وليس فى القرآن تحديد أنصبة الزكاة، وليس فى القرآن أمورًا أصولا فى الحج إلى بيت الله الحرام؛ لماذا قبلنا تلك الأشياء ورددنا حديث النزول؟! وهم هم الذين نقلوا الصلاة والزكاة وغيرها، هم الذين نقلوا حديث رسول الله ﷺ فى نزول الرب جل وعلا.

وفى إثبات النزول لله جل وعلا إثبات لعلو الله، وصفة العلو لم يذكرها الناظم فى هذه المنظومة صراحة إلا أنه أشار إليها فى البيت السابع، كما تقدم فى قول الناظم: تَعَالَى الْمُسَبَّحُ؛ تَعَالَى: إثبات العلو لله، وهنا فى صفة النزول التى تدل دلالة صريحة على علو الله جل وعلا، وقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله: هذه المنظومة كاملة فى كتاب العلو من بين نقولاته عن الأئمة المتقدمين فى إثبات علو الله؛ فقال قال فلان وفلان وذكر أقوال الأئمة فى إثبات، ثم روى هذه المنظومة فى سياق نقولاته عن الأئمة فى إثبات العلو لله؛ لأنها كما ذكرنا فى هذه الأبيات التى يذكر الناظم رحمه الله صفة نزول الرب جل وعلا يتضمن إثبات علوه سبحانه، وعلو الله ثابت ثبوتا ضروريا بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والأئمة، والفطر السليمة الصحيحة، صاحب الفطرة السليمة إذا دعا الله رفع يديه إلى السماء، ورفع بصره إلى السماء؛ لأنه يجد شيئًا فى صدره يوجهه إلى أن الله فى جهة العلو، كما يقول حافظ الحكمى:

كذا له العلو والفوقية   على عباده بلا كيفية

فعلو الله فى نفوس البشر، يجدون نفوسهم مضطرة إذا دعوا ربهم جل و علا إلى رفع أيديهم وأبصارهم إلى السماء، وكما ذكرنا ورد من أسماء الله عز وجل فى القرآن ما يدل على علوه الأعلى، العلي، العظيم ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الانعام : ١٨] ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] الجبار، كما تقدم هذه من أسماء الله مما يدل على

علوه سبحانه، وكذلك الظاهر، القاهر، القهار، ومما يدل على علوه سبحانه آيات الاستواء ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] وقول الله ﷻ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أى فوق السماء، والتصريح بالفوقية ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقول النبى ﷺ لسعد بن معاذ حين حكم فى قريظة: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»[١]، وزينب بنت جحش كانت تمن على زوجات النبى ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[١]، ولا تقول هذا فى حياة النبى ﷺ إلا لعلمها أن النبى ﷺ أثبت الفوقية لله جل وعلا، وأيضًا مما يدل عل علوه التصريح برفع الأشياء إليه ﷻ وصعودها وعروجها ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤] وفى حديث «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَار وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ»[٢] وفى حق عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] فرفع الأشياء وصعودها وعروجها كل ذلك يدل على الله، وأيضًا نزول الأشياء من عنده ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] تنزل الروح، تنزيل الكتب، كل هذه الأشياء التى تنزل من عنده سبحانه تدل على علوه جل وعلا، وأيضًا كما ذكرنا رفع الأيدى فى الدعاء، وهذا ثابت بالتواتر عن رسول الله ﷺ: كان إذا بالغ فى الابتهال والدعاء رفع يديه حتى تبدو عفرة إبطيه، ويسقط رداؤه عن منكبيه مادًا يديه إلى السماء، وأيضًا كما فى خطبته فى حجة الوداع حينما استشهد الشهود يرفع يده إلى السماء ثم ينكتها إلى الأرض ثلاثًا ويقول: اللهم فاشهد. إشارة إلى أن الله فى جهة العلو فى السماء، وعروج النبى ﷺ، كل هذه إشارات تدل على علو الله.

---

(١) صحيح: دون قوله: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»، الألباني في شرح الطحاوية.

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد – باب وكان عرشه على الماء.

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام.

أَلا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبوهُمْ وَقُبِّحُوا: خاب من كذب الصحابة فى هذه الروايات، وقبح من لم يقبل هذه الروايات التى تدل على هذه الصفة من صفات الله ﷻ.

الصحابة كلهم عدول:

وَقُـلْ إِنَّ خَيْـرَ النَّاسِ بَعْـدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيـرَاهُ قِدْمًا ثمَّ عُثْمَـانُ الأَرْجَحُ

وَرَابِعُهُـمْ خَيْـرُ البَرِيَّـةِ بَعْدَهُـمْ ... عَلِـيٌّ حَلِيـفُ الخَيْرِ بالخَيْرِ مُنْجَحُ

وَإِنَّهُـمُ لَلرَّهْـطِ لا رَيْـبَ فِيهِـمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بالنُّـورِ تَسْرَحُ

سَعِيـدٌ وَسَعْـدُ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِـرُ فِهْـرٍ وَالزُّبَيْـرِ المُمَـدَّحُ

وَقُـلْ خَيْـرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهُـمْ ... وَلا تَـكُ طَعَّانًـا تَعِيـبُ وَتَجْرَحُ

فَقَـدْ نطَـقَ الوَحْيُ المُبيـنُ بفَضْلِهِمْ ... وَفِي الفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

هذه الأبيات يشير فيها إلى عقيدة أهل السنة والجماعة فى أصحاب النبى ﷺ، وفى بعض الروايات من المنظومة فيها زيادة لذكر بعض الصحابة: الحسين وفاطمة، وغير ذلك من التابعين والأئمة المتبعين، لكن هذا مما اتفقت عليه الروايات.

وفضائل الصحابة معلومة معروفة فى الكتاب والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وهم الذين ذكرهم الله ﷻ فى قوله أولا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] أمة الإسلام عمومًا، والصحابة خصوصا، وهم الذين قسمهم الله ﷻ إلى أقسام ثلاثة: مهاجرون سابقون، وأنصار، ولاحقون ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وكما فى سورة الحشر أيضًا ذكر الله ﷻ المهاجرين والأنصار الذين تبوأوا الدار والذين جاءوا من بعدهم من المتأخرين من الصحابة ومن جاء من بعدهم من التابعين

إلى زماننا هذا، وبعد زماننا هذا مما يبين حقهم علينا وموقفنا منهم: من أننا لا نذكرهم إلا بالثناء الجميل، والقول الحسن ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] هؤلاء خير الناس عمومًا بعد الأنبياء والمرسلين، وخيرهم هؤلاء الذين ذكرهم من العشرة المبشرين، ويقدم من بينهم الأربعة الخلفاء الراشدون رضى الله تعالى عنهم الذين قدمهم رحمه الله في هذه الأبيات:

خير الناس بعد رسول الله ﷺ:

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثم عُثْمَانُ الأَرْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بالخَيْرِ مُنْجَحُ

حَلِيفُ الخَيْرِ أى ملازم الخير، وهؤلاء الأربعة.

والصحابة عمومًا قال النبى ﷺ كما فى الصحيحين من حديث أبى سعيد: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»[1] لو أنفق الواحد من بعد الصحابة مثل أحد فى سبيل الله ذهبًا، وقَبِلَه الله منه ما كان ثوابه مثل ثواب ملء كف واحد منهم من طعام؛ لأنهم أنفقوا من القلة والفقر والحاجة، لأنهم أنفقوا فى زمان هم أحوج الناس إلى الطعام والشراب؛ فالنبى ﷺ يبين هذا الفضل، ويبين عظيم وثواب نفقتهم وإن كانت قليلة، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ مطلقًا الذين قال عنهم ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وهو من الصحابة يقول: من كان متأسيًا فليتأسَ بأصحاب محمد ﷺ؛

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة – باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلاً، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة – باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، واللفظ لمسلم.

فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه؛ فاعرفوا فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] هذه المعية، وهذه المشاركة لرسول الله ﷺ، اصطفاهم الله واجتباهم الله لصحبة نبيه كما قال الله جل وعلا ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] يقول ابن عباس: هم أصحاب رسول الله ﷺ اصطفاهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وأحبهم إلى الله جل وعلا رسول الله ﷺ اختار الله ﷻ له خير الصحبة، وخير الصحابة؛ لأنه لا يمكن أن يختار لخير الخلق غير الخيرين، ولا يمكن أن يصحب خير الخلق من لم يكن مشاركا فى هذا الخير، فاصطفاهم الله، واجتباهم الله، واختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ؛ فهم أصهاره ووزراءه، أهل مشاورته صلى الله عليه وسلم، ورضى الله تعالى عنهم.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة تقديم الصحابة على غيرهم، وتقديم حبهم على غيرهم، والمفاضلة بينهم: يقدم منهم هؤلاء العشرة كما ذكرنا، ويقدم من العشرة الأربعة الخلفاء، ويقدم من بينهم أبو بكر وعمر، وهما اللذان أشار إليهما الناظم رحمه الله بقوله: **وَزِيرَاهُ قِدْمًا** من القدم: أى كانا مع رسول الله مؤمنَيْن ملازِمَيْن منذ بداية دعوته ﷺ، مقدمين على سائر الصحابة، وبعضهم يقول **قِدْمًا** وبعضهم يقول **قُدُمًا** يعنى مقدمون: يتقدمون بين يدى سائر الصحابة بين أقدامهم جميعا؛ فهم متقدمون، سابقون بالخيرات، متبعون لرسول الله ﷺ: أبو بكر عبد الله بن عثمان أبى قحافة، وأبو حفص عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما، وثالثهم ذو النورين **عُثْمَانُ الأَرْجَحُ** يعنى فى الراجح من الأقوال التى قيلت: يعنى الثالث بعد الاثنين على الراجح ذو النورين عثمان، يقدم - وهو أرجح - من على رضى الله تعالى عنه فى الفضل؛ فهو ثالث الخلفاء الراشدين، وثالث الصحابة أجمعين فى الفضل، يقول الإمام أحمد رحمه الله:

من فَضَّلَ عَلِيًّا على أبي بكر وعمر، أو قدمه عليهما في الفضيلة والإمامة دون النسب فهو رافضي مبتدع فاسق، لكن في النسب علي يُقدم، لكن في سائر الفضائل أبو بكر ثم عمر ثم ذو النورين عثمان على الراجح؛ لأن المفاضلة بين ذي النورين عثمان وعلي اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب: المذهب الصحيح الشهير أن ذا النورين عثمان أفضل من علي، والمذهب الضعيف تقديم عليٍّ على ذي النورين عثمان، ومذهب ثالث التوقف؛ فالأرجح من هذه المذاهب تقديم ذي النورين عثمان على عليٍّ، وجعله الثالث كما كان الثالث في الخلافة؛ فهو الثالث في الفضل، ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الملقب بذي النورين لزواجه من بنتي رسول الله ﷺ رقية، ثم أم كلثوم.

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ: بعدية تدل على الترتيب، وهو علي **حَلِيفُ الْخَيْرِ**: أي الملازم لفعل الخير، **بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ**: ناجح فائز بالخيرات، أو ممنح: أي يمنح الخير رضي الله تعالى عنه، هؤلاء الأربعة هم المقدمون بين يدي الصحابة جميعًا في الفضل: أبو بكر، ثم عمر ثم ذو النورين عثمان، ثم علي رضي الله تعالى عنهم، والحديث في الصحيح من حديث محمد بن الحنفية، وهو محمد بن علي بن أبي طالب أنه سأل أباه: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، قال: وخشيت أن أقول ثم من؟ فيقول عثمان؛ فقلت ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[(١)].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر يقول: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم[(٢)].

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة – باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة – باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ.

وهذا يدل على الإجماع، أن هذا الترتيب هو ترتيب الخيرية والأفضلية في حياة النبي ﷺ، وهو الذي عليه عامة أهل السنة إلا ما نقل عن بعض أهل الكوفة من تقديم عليٍّ على ذي النورين عثمان، ومن ذكر عنه ذلك رجع أيضًا على قول الجماعة بتقديم ذي النورين عثمان على عليٍّ رضى الله تعالى عنهما.

وَإِنَّهُمُ لَلْرَّهْطِ: أى هؤلاء الأربعة من الرهط الآتى ذكرهم وهم الستة، والرهط من الثلاثة إلى التسعة، وهم الستة البقية، هؤلاء جميعًا **عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ أو فِي الخُلْدِ تَسْرَحُ**: أى نؤمن بأن هؤلاء العشرة من أهل الجنة، وقد جاء ذكرهم في حديث سعيد بن زيد وغيره والحديث صحيح: أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وذو النورين عثمان فى الجنة، وعليٌّ فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وسعد فى الجنة، وسعيد فى الجنة، وعبد الرحمن فى الجنة، وأبو عبيدة فى الجنة، مع التقديم والتأخير فى ذكر بعض الستة[1].

فنشهد بأنهم **عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ فِي الخُلْدِ**: أى يركبون النجيبات من مراكب الجنة؛ فتسرح بهم حيث شاءوا، وهذا اعتقادنا فيهم لتصديقنا لخبر النبى ﷺ بأنهم فى الجنة، كما ذكرنا الحديث، هؤلاء العشرة ومشهور عند أهل السنة الحديث، ويقال عنهم العشرة المبشرون بالجنة رغم أنف الرافضة الخبيثين الحاقدين.

وَإِنَّهُمُ لَلْرَّهْطِ: أى هؤلاء الأربعة والرهط، **لا رَيْبَ فِيهِمُ**: لا نشك فى ذلك.

من أنهم جميعًا **عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ فِي الخُلْدِ تَسْرَحُ**، ثم ذكر بقية العشرة وهم: **سَعِيدٌ وَسَعْدٌ**: سعيد بن زيد عمرو بن نفيل، وسعد بن أبى وقاص، **وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٍ**: عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، **وَعَامِرُ فِهْرٍ**: أبو عبيدة بن الجراح.

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والطبراني وابن حبان، وراجع صحيح الترمذي (٢٩٤٦)، وصحيح ابن ماجه (١١٠).

وَالزُّبَيْرِ الْمُمَدَّحُ: الزبير بن العوام الأسدى **الْمُمَدَّحُ** المذكور بالمدائح رضى الله تعالى عنه، هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة نؤمن بأنهم خير الصحابة، وبأنهم فى الجنة، ونعرف لهم مكانهم وقدرهم ومنزلتهم، وحبهم إيمان، وبغضهم كفر ونفاق، ثم سائر الصحابة نحبهم جميعًا من إيماننا بمحمد ﷺ، نؤمن بأن خير الناس بعده هم أصحابه، الذين اختارهم الله ليكونوا معه فى كل حال، معه فى الحرب والسلم، فى الفقر والغنى، فى الأمن والخوف، فى العبادات والطاعات وسائر القربات، معية ملازمة للنبى ﷺ.

لا يجوز الطعن في أحد من الصحابة:

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ: بعد أن ذكر وعَيَّن هؤلاء العشرة وهم خير الصحابة العشرة المبشرون بالجنة، ثم بعد ذلك أهل بدر، ثم بعد ذلك أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم جميعا يشتركون فى خير الصحبة: صحبة النبى ﷺ.

والصحابى: هو من لقى رسول الله ﷺ مؤمنا به ومات على الإيمان، من ثبتت له هذه الصفة فهو من خير الناس، لا يذكر إلا بالجميل، ولا يذكر إلا بالثناء الحسن، ولا نذكر مثالب واحد منهم، ولا نذكر الخلافات التى شجرت بينهم، فإن الله ﷻ أمرنا بالاستغفار لهم مع علمه السابق الأزلى بأنه سيقع بينهم خلاف ﷺ، **وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ**: بلا استثناء، ولا كما استثنى هؤلاء المجرمون من الروافض: هم يستثنون الخيرين، ثم البقية يطعنون فيهم.

وَلا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ: لا تكن جراحًا تكثر الجرح والكَلْمَ فى الصحابة، أو الطعن فى الصحابة، **وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ**، والقول قول القلب، وقول اللسان: وقل بقلبك ولسانك خير قول فى الصحابة كلهم كما ذكر الله تبارك وتعالى عن الذين

جاءوا من بعدهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠] قول القلب، وقول اللسان: تحبهم وتجلهم وتعظمهم، وتعتقد بقلبك أنهم خير الناس بعد سيد الناس ﷺ، وتنطق بلسانك بذلك معترفًا لهم بهذا الفضل.

ولا تعيب الصحابة أو تذكر مثالبهم، أو شيئًا مما شجر بينهم، أو مِمَّا وقع بينهم؛ فإن هذا يورث قلبك شيئا من الضغينة، أو يورث السامعين ذلك، لذلك «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِى فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»[1] حديث عن رسول الله ﷺ صححه بعض العلماء: يعنى إذا ذكر الصحابة وما جرى بينهم أمسك، ولا تخض فى هذا، ولا تنساق وراء الحكايات والروايات؛ لأن الغاية والنتيجة الوصول إلى غاية سيئة: وهى استقرار شيء من البغض أو من الكراهية فى قلبك، أو فى قلب السامع تجاه أحد الصحابة، ومن فعل ذلك يوشك أن يهلك، عياذًا بالله.

وَلا تَكُ طَعَّانًا: الطعان المستكثر من الطعن؛ وهى هنا ليست على ظاهرها؛ لأن لو أخذناها على ظاهرها يجوز لك أن تطعن شيئًا ما، لا **وَلا تَكُ طَعَّانًا** أبدًا: نفى للطعن؛ فلا تطعن فى أحد من الصحابة، ولا تعب أحدًا من الصحابة؛ فإن ذلك دين الروافض، ودين الخوارج الذين خرجوا عن الصحابة، والروافض الذين كفروا الصحابة، وطعنوا فى الصحابة، يقول الإمام أبو زرعة الرازى رحمه الله: إذا رأيتم الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلموا أنه زنديق؛ لأن الدين حق، والقرآن حق، وإنما نقل لنا ذلك الصحابة؛ فهؤلاء أرادوا الجرح فى شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، وهم بالجرح أولى، وهم زنادقة.

---

(١) رواه الطبراني في الكبيربإسناد حسن عن ثوبان، وقال الهيثمي في الزوائد فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف، ورواه عن ابن مسعود، وقال الهيثمي فيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقيه رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤).

نقلوا لنا الكتاب والسنة، وجاءوا لنا بالدين هؤلاء الصحابة عن رسول الله ﷺ؛ فطعنوا فيهم، وهذا طعن في الدين، هؤلاء أرادوا أن يجرحوا شهودنا؛ فإذا جُرح الشاهد فالقضية مردودة.

ادعى إنسان دعوى، وجاء بشهود، الشهود مجروحون مطعون فيهم، دعواه مردودة، ولا تقبل دعواه، جاءنا رسول الله ﷺ بالدين، شهد على ذلك الصحابة ﷺ، ونقلوا عنه القرآن والسنة، فإذا طعن في الصحابة فلا قرآن ولا سنة، ولا دين، فمن أراد ذلك إنما أراد الدين، ومن جرحهم إنما هو المجروح، وهو الزنديق عياذا بالله.

فَقَدْ نطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بفَضْلِهِمْ ... وَفِي الفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

في سورة الفتح آيات متفرقات تمدح الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] هذه آية تدل على فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، في قلوبهم السكينة، وازدادوا إيمانًا مع إيمانهم.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] هذه أيضًا آية تدل على فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأيضًا في آخر سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] استدل الإمام مالك رحمه الله على أن ما غاظه أصحاب رسول الله ﷺ؛ فهو من الكفار.

هذه آيات في سورة الفتح تدل على فضل الصحابة ﷺ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الإيمان بالقدر:

وَبالقَـدَرِ المَقْـدُورِ أَيْقِـنْ فَإِنَّـهُ   دُعَامَـةُ عَقْدِ الدِّيـنِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ

واليقين ضد الشك، وألا يكن فى قلبك شك، واليقين انتفاء الشك، وهو تمام العلم وكماله، أى يجب عليك أن تعلم علمًا تامًا، وتؤمن إيمانًا جازما بالقدر؛ فإنه دعامة البناء، والدعامة هي العمود والأساس، والدعامة أساس بناء الإيمان كأساس أي بناء الذي لا يقوم إلا عليه؛ فالإيمان بالقدر أساس من أسس عقد الدين، فالإيمان بناء له دعائم لا يقوم إلا بها، وإذا تخلف أحدها لم يقم بناء الإيمان، والإيمان عقد له أصول إذا انفرطت واحد منها انفرطت سائرها، وهذه الأصول والدعائم هى الأصول الستة، وبقية شرائع وشعب الإيمان مكملة لهذا العقد، فالأصول الستة، وهى أصول الإيمان، وهى أسس بناء الإيمان، وأسس قيام عقد الدين التى إن زال أساس منها سقط البناء، أو إن انفرط أصل منها من عقد الدين انفرطت سائر حباته، هى هذه الأصول الستة؛ فإنه **دعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ**: الدين واسع، وشعبه كثيرة ومتنوعة، كما ذكر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والحديث فى الصحيحين: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةٌ**»[(١)] هذه حبات هذا العقد بضع وستون حبة، منها حبات ست إذا انفرطت واحدة من هذا العقد انفرطت كلها، وهذه الشعبة من الشعب الأصول، ومن الأسس التى ينبنى عليها البناء، التى إن انفرطت انفرطت سائر الحبات، «**فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إلا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[(٢)] كما فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن النبى صلى الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان – باب أمور الإيمان، ومسلم: كتاب الإيمان – باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وأنه من الإيمان.

(٢) هذه الزيادة رواها مسلم إلا قوله ﷺ والحياء من الإيمان ورد في الصحيحين.

عليه وعلى آله وسلم، وقد ورد ذكر هذا الركن: ركن الإيمان الركين، والأصل من أصول الإيمان العظيمة؛ وهو الإيمان بالقدر خيره وشره فى هذا الحديث، حديث جبريل الشهير الذى كان سبب رواية ابن عمر له - أى لهذا الحديث عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه بلغه عن قوم من أهل العراق يقرأون القرآن، ويتقفرون العلم، ويتعبدون لله إلا أنهم أنكروا هذا الأصل، وهذا الركن من أركان الإيمان، وهذه الحبة الأصيلة من عِقْدِ الإيمان؛ فأخبر عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن هؤلاء غير مؤمنين، وإن آمنوا بالأصول الأخرى، فأصول الإيمان إذا زالت الواحدة منها زالت البقية، ولا ينتفع من جاء ببعضها دون البعض، لا ينتفع بها إلا من جاء بها كلها؛ فهؤلاء قوم يقرأون القرآن، ويكثرون العلم، وشأنهم وحالهم الاجتهاد إلا أنهم ينكرون القدر، ويقولون لا قدر، والأمر أُنُف: أى مستأنف لم يقدره الله ﷻ، ولم يشأه، ولم يعلمه، ولم يكتبه، الله ﷻ فى زعمهم الباطل لا يعلم ما العباد عاملون إلا بعد أن يعملوه، وهذا إنكار للقدر الذى سيأتى تعريفه؛ فأخبر ابن عمر أن إنكار القدر، وعدم الإيمان به وإن جاء المرء بأعمال عظيمة كفر مفسد ومحبط لسائر الأعمال؛ فقال عن هؤلاء: إذا لقيت أولئك فأعلمهم أنى بريء منهم، وهم برآء منى؛ فوالذى يحلف به ابن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه فى سبيل ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ثم قال: حدثنى أبى عمر بن الخطاب، وساق الحديث بطوله، وموضع الشاهد منه قوله فى جواب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم جبريل عن تعريف الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١)، وهذا موضع الاستشهاد من ابن عمر من الحديث على تكفير أولئك النفاة للقدر أنهم لا ينتفعون بأعمالهم وإن كانت عظيمة عند الله ﷻ، ولا تحبط الأعمال

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله.

حبوطًا كليًا إلا إذا كانت من كافر، أما المؤمن: يحبط بعض عمله، وينتفع بالبعض الآخر، أما الحبوط الكلى لسائر الأعمال لا يكون إلا من الكافر: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وإن جاءوا بالأعمال وتركوا أصلا من أصول الإيمان جعل الله تلك الأعمال هباء منثورًا لا قيمة لها، فابن عمر أخبر أنهم قد كفروا، ولا ينتفعون بأعمالهم إذ كفروا بالقدر، وقد ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: القدر نظام التوحيد؛ فمن وحَّد الله وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده. القدر نظام التوحيد: أى أصله ينتظم التوحيد به؛ فمن وحد الله وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيد، تكذيبه بالقدر قد أفسد عليه توحيده. أى إذا لم يكن إيمان بالقدر فليس هناك توحيد فقد زال، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: القدر قدرة الله فمن كذب بقدرة الله فقد كفر بالله جل وعلا. وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن تثبت القدر، وتقدير الله عز وجل لسائر الموجودات كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿كُلَّ﴾ من صيغ العموم، و﴿شَيْءٍ﴾ نكرة تفيد العموم يدخل فيها سائر الأشياء مما سوى الله تبارك وتعالى، فالله عز وجل يطلق عليه شيء لأن عكسه العدم، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩] وكذلك قوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] أيضًا ﴿كُلِّ﴾ و﴿شَيْءٍ﴾ لفظان يدلان على العموم، كل شيء من الأعيان والصفات، من المحسوسات والمعنويات؛ فكلها أشياء داخله فى خلق الله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أيضًا، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣] كل هذه التى تفيد العموم داخله فى تقدير الله عز وجل، وقد قال لموسى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه : ٤٠] قدر لك المجيء فى زمان ومكان، تقدير الله عز وجل للأفعال كتقديره وإيجاده للأجسام والمحسوسات، وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى

عنهما: كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على رأسك. إذا وضعت يدك على رأسك بقدر قدرهُ الله ﷻ، وكتبه الله ﷻ، وعلمه الله ﷻ، وشاءه، وخلقه فيك سبحانه، وقد قال رسول الله ﷺ، والحديث في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العَجْزُ وَالكَيْسُ»[1] عجزك بقدر قدره الله عليك، وذكاؤك وفطنتك واجتهادك بقدر قدره الله ﷻ؛ فكل شيء بقدر الله، ولا يمكن أن يوجد موجود في هذا الكون إلا والله ﷻ مكونه وموجده ومقدره ﷻ، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة أن الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، وإثبات القدر لله ﷻ، وتقدير المقدرات والموجودات لله ﷻ أجمعوا على وجوب الإيمان به، إلا أن هناك بعض الطوائف كفرت بهذا القدر الذي ثبت في الكتاب والسنة: إما بغلو، أو بجفاء، والإيمان بالقدر الذي أثبته أهل السنة الذي يجب علينا أن نعتقده على أربع مراتب، وإنكار واحدة منها إفساد لهذا الأصل من أصول الإيمان، والإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الأزلي، الذي هو من صفات ذاته ﷻ هذه المرتبة الأولى، وقد ورد ذكرها في كتاب الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] هذه الآية تشمل جميع الموجودات: كبيرها وصغيرها، عُلْوِيُّها وسفليها، الخارج منها والداخل فيها. هذه الآية تدل على إحاطة الله جل وعلا، وقوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾ [سبأ: ٢] وهذه أيضًا تدل على إحاطة علم الله بكل الموجودات، فالموجودات إما نازلة من السماء، أو

(١) رواه مسلم: كتاب القدر – باب كل شيء بقدر.

صاعدة إلى السماء، وإما نازلة إلى الأرض، أو خارجة من الأرض، وكما قال سبحانه عن لقمان الحكيم: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ [لقمان: ١٦] مثقال حبة من خردل أصغر ما يعلمه الناس من الحبوب، في السماوات أو في الأرض يأت بها الله، ولا يأتي بها الله إلا بعلمه بموضعها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ١٦] وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ما للعموم أيضًا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧] ﴿كُلِّ﴾ و﴿ شَيۡءٍ﴾ للتأكيد ﷻ، فعلم الله ﷻ شامل: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ [البقرة: ٧٧] هذا أيضًا: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] هذا أبلغ من علم الأسرار، فالإعلان أن تعلن بكلامك، والإسرار أن تسر به لغيرك، وتكنه بصدرك مما لم تسر به لغيرك، ولم تجهر به لغيرك الله ﷻ يعلم ذلك كله ﷻ، فعلمه محيط بكل المعلومات: صغيرها وكبيرها، علويها وسفليها، محسوسها وغير محسوسها، علم الله ﷻ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] فقد خلق كل شيء سبحانه، ويعلم كل موجود.

المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بالكتابة المطابقة لهذا العلم: علم الموجودات، وكتابة مقادير كل المخلوقات، وأن الله ﷻ كتب ودوّن كل شيء في اللوح المحفوظ الذي حُفِظ وحَفظ كتابة كل الموجودات: ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ في الكتب، ﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾ مكتوب في كتبه: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج : ٧٠] ما في السماء وما

فى الأرض فى كتاب، كتب الله ﷻ كل ما فى السماء وكل ما فى الأرض: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يعجزه ولا يشق عليه ﷻ أن يكتب كل ما فى السماوات وكل ما فى الأرضين: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] من قبل أن تخلق وأن توجد، فالكتابة سابقة ومتقدمة على الخلق والإيجاد، كما أن العلم سابق؛ لأن العلم أزلى، والكتابة مبتدأة عند أن خلق الله القلم، والخلق متأخر عن الكتابة. روى الإمام مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال: «كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ»: فالكتابة متقدمة على الخلق بخمسين ألف سنة، قال: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»(١) هذا يدل على أن العرش متقدم فى الخلق على القلم، وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَمُ قَالَ لَهُ اكْتُبْ، قَال رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ، قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى حَتَّى تَقُومَ القِيَامَةِ» وذلك كما تقدم فى حديث عبد الله بن عمرو قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئة الله ﷻ، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الانسان: ٣٠] : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بمشيئته وأمره ﷻ، وقد قال النبى ﷺ فى وصيته لابن عباس وهو صحيح: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ»(٢) كتابته

(١) رواه مسلم: كتاب القدر - باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) رواه الترمذي وأحمد، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٣٩١٧).

ومشيئته هى النافذة، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد قال الإمام الشافعى رحمه الله فيما نُسب إليه صحيحًا:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

خَلَقْتَ العِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ... فَبالعِلْمِ يَجْرِي الفَتَى وَالْمُسِنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذا خَذَلْتَ ... وَهَذا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ: يعنى إذا شاء الله أمرًا ولم تشأه أنت كانت مشيئة الله، ثم لا مشيئة لك إلا بما شاءه.

خَلَقْتَ العِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ: يعنى خلقت خلقًا يوافق علمك السابق، وكتابتك السابقة، ومشيئتك.

عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذَلْتَ، وَهَذا أَعَنْتَ، وَذَا لَمْ تُعِنْ: مننت على واحد، وخذلت الآخر، وأعنت واحدًا، ولم تعن الآخر.

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ، وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ: على مشيئته خلق وفق كتابته وعلمه السابق سبحانه.

وإثبات المشيئة لله لا ينفى المشيئة للعبد، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الانسان: ٣٠] : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ إثبات المشيئة للعبد: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ إثبات المشيئة لله، وأنها هى النافذة، فلك مشيئة وهى تابعة لمشيئة الله ﷻ؛ لأن طوائف من الضُّلال غلوا فى إثبات المشيئة لله، ونفوا مشيئة العبد، ومنهم من غلا فى إثبات المشيئة للعبد ونفى المشيئة لله، وأهل السنة وسط: يثبتون مشيئة الله ومشيئة العبد: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]

فأثبت للعبد مشيئة فى الاستقامة أو مشيئة فى الاعوجاج: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] إثبات المشيئة للعبد، وأنها لا تخرج على مشيئة الرب ﷻ؛ فالذين أثبتوا مشيئة الله دون مشيئة العبد هم الجبرية: الذين قالوا العبد مجبور ومكره على نفاذ مشيئة وإرادة الله فيه، وهو لا اختيار له، هؤلاء أخذو شِقًّا من المشيئة: وهى مشيئة الله، ونفوا الشق الثانى: وهى مشيئة العبد.

والقدرية أثبتوا مشيئة العبد، ونفوا مشيئة الرب؛ فقالوا: إن العبد يخلق أفعاله منفردًا دون الله، وله مشيئة بها فعل أفعاله، وأوجد الموجودات التى وجدت منه، دون مشيئة الله وهؤلاء شُبهوا بالمجوس لأنهم أثبتوا خالقين مع الله كما يأتى فى المرتبة الرابعة؛ وهى مرتبة الخلق.

المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بخلق الله ﷯ لكل الموجودات، القدرية الذين نفوا مشيئة الله ﷯، ونفوا خلق الله ﷯، وعلم الله كما كانت القدرية الأوائل، عن المخلوقات جعلوا العبد منفردًا بالمشيئة، ومنفردًا بالخلق لأفعاله وأقواله دون الله ﷯؛ فشُبهوا بالمجوس الذين قالوا بخالقَيْن: المجوس يؤمنون بخالقَيْن اثنين: إله الخير، وإله الشر، أو إله النور، وإله الظلمة، فالقدرية الذين غلوا فى نفى مشيئة الله ﷯، وغلوا فى إثبات مشيئة العبد وحريته واختياره، وتفرده بخلق أفعاله أشبهوا المجوس، حينما قالوا العبد يخلق أفعاله دون خلق الله، بل هم شرٌّ من المجوس الذين أثبتوا خالقَيْن، والقدرية أثبتوا خالقِين: المجوس أثبتوا قسمًا من المخلوقات لغير الله يعادل أو يزيد شيئًا ما عن مخلوقات الله، والقدرية أثبتوا خالقِين متعددين مستكثرين من المخلوقات أكثر من مخلوقات الله، فالعباد كل واحد خالق بنفسه لأفعاله، والشر فى أفعال العباد أكثر من الخير؛ إذن مخلوقات غير الله من الخالقين عند القدرية أكثر من المخلوقات من الله التى هى الخير، هم أشر من المجوس.

فالإيمان وإثبات مشيئة الله ومشيئة العبد التابعة لها هو العدل والوسط بين القدرية النفاة لمشيئة الله وخلقه والجبرية الجهمية الغلاة فى إثبات مشيئة الله وخلقه دون مشيئة العبد، والله ﷻ خالق كل شيء، ومن هذه الأشياء مشيئة العبد، وأفعال العبد؛ وهى **المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر:** الإيمان بالخلق والإيجاد، وأنه لله جل وعلا، والعبد تابع فى مشيئته وأفعاله لمشيئة الله، مخلوق بأفعاله لله جل وعلا؛ فالله رب العالمين الذى خلقهم ورباهم وأوجدهم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] كل شيء داخل فى خلقه ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] أى: خلقكم وأعمالكم، خلقكم والمعمولات التى عملتموها، والله خلقكم بأعيانكم، وأعمالكم أى عملك، وخلقك، وخلق بك القدرة والقوة على إيجاد العمل الذى أوجدته؛ فـ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ما المصدرية؛ فالأعمال مضافة إلى الله ﷻ خلقًا وإيجادًا، وتضاف للعبد فعلا واكتسابا؛ فأنت تصلى وتصوم وتزكى وتحج خلقها الله فيك، وأنت اكتسبتها وباشرتها، أنت فعلت المعصية والفسوق خلقها الله ﷻ فيك، وأنت اكتسبتها وباشرتها، يحاسبك الله على هذا الكسب والفعل والإيجاد والمباشرة لهذا الفعل، فالله ﷻ خلقكم وما تعلمون، خلقكم وخلق أعمالكم، وقسم أرزاقكم، وقسم أخلاقكم، فِعْلُ الله ﷻ فيك.

عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذا خَذَلْتَ   وَهَذا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ

أعنتَه ووفقتَه وسددتَه بفعلك وخلقك ياربٌ وهو باشر ذلك واكتسبه، خذلت وضيعت وتركته عن الإعانة باشر هو هذا الخذلان؛ فترك وارتكب الفسوق والعصيان، يارب خذلته فسلطت عليه الشياطين لتصده عن سواء السبيل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم : ٨٣] فالله ﷻ هو الذى أرسل، وهو الذى خذل، وهو الذى ضيع هذا العبد فاستعدت عليه الشياطين، وأضلته عن سواء السبيل، واكتسب هو هذا الضلال والفسوق والعصيان.

أهل السنة وسط فى سائر الأبواب التى اختلفت فيها الفرق الضالة المبتدعة فى القدر: فرقة كما ذكرنا غلت فى نفى تقدير الله ﷻ وهم القدرية الذين قالوا إن الله لم يشأ ولم يخلق، بل العبد انفرد بمشيئةٍ وخلقٍ منفصل عن مشيئة الله وخلق الله، وطائفة غلت فى نفى المشيئة والاكتساب من العبد: وهم الجبرية الجهمية قالوا: إن العبد مجبر لا اختيار له، ولذلك إذا عصى الواحد منهم قال: كتبه الله عليَّ، قدرهُ الله عليَّ ولا مشيئة لى، وأنا مثل الريشة فى الريح، ومثل الميت بين يدى المغسل، ومثل الجنازة على الخشبة لا اختيار لي، ولا رأي لي، ولا قدرة لي، وهذا الذى يقولون لو بوحثوا أو نوقشوا لأنكروه فى جهة أخرى، لو ضربت واحدًا منهم وأخذت ماله، أو انتهكت عرضه وقلت إنى مجبر، وإنى مكره لا اختيار لي لا تعاقبني، يقول لا قد اعتديت عليَّ وأخذت مالي وطردتنى، أنت تقول أنك مجبر إذن هم يقولون بالجبر فيما ينفعهم، وينفون الجبر فيما يضرهم ويكون عليهم، وأما أهل السنة كما ذكرنا وسط: إثبات لمشيئة الله بلا غلو، وإثبات لمشيئة العبد بلا غلو: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

الإيمان باليوم الآخر:

وَلا تُنْكِرَنْ جَهْلاً نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلا الحَوْضَ وَالمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

وَقُلْ يُخْرِجُ الله العَظِيمُ بفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بمَائِهِ ... كَحَبٍّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

وَإِنَّ رَسُولَ الله لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ... وَإِنَّ عَذَابَ القَبْرِ بالحَقِّ مُوضَحُ

يذكر الناظم رحمه الله فى هذه الأبيات الإيمان باليوم الآخر، ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بمقدماته: من فتنة القبر، وحياة القبر: من نعيم وعذاب، وما يحدث فى الآخرة

من ميزان وتطاير صحف الأعمال، ومرور على الصراط، وورود حوض النبى ﷺ للشرب منه: فمن شارب ومطرود، ومن موازين تثقل وتخف، ومن نهاية واستقرار فى الجنة أو النار، وبين يدى ذلك شفاعة رسول الله ﷺ فى مواقف متعددة.

فى هذه الأبيات يذكر الناظم رحمه الله، ويشير إشارات إلى هذه المواقف مما يدخل فى أحد أركان الإيمان السنة التى تقدم ذكرها وهو الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر قد ورد ذكره فى القرآن والسنة كما تقدم فى حديث جبريل، وأنه يفسر له النبى ﷺ الإيمان بأنه «**الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»، والإيمان باليوم الآخر يدخل فى الإيمان بالغيب الذى وصف الله عز وجل به المتقين فى أوائل سورة البقرة، الذين يهتدون بهذا القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣] والغيب ضد الشهادة، والشهادة ما يشاهده الإنسان وما يدركه بحواسه، والغيب ما غاب عن حواسه، ومن الإيمان بالغيب الذى لم يشاهده الإنسان الله عز وجل بأسمائه وصفاته، ومن الإيمان بالغيب فتنة القبر، وما يحصل فيه، ومن الإيمان بالغيب أحداث وأهوال يوم القيامة، ومن الإيمان بالغيب أحوال أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، ومن الإيمان بالغيب فى هذه الحياة مما أخبر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمم المتقدمة وأحوالهم ومواقفهم، وقصص القرآن السابق كل هذا يدخل فى الإيمان بالغيب الذى يصدق به، ويجزم به المؤمنون بالله، والإيمان بالله وباليوم الآخر قرينان كما ذكرنا؛ لأن الإيمان بالله إيمان بالغيب؛ فالعيون لم تشاهد الله عز وجل، والإيمان باليوم الآخر إيمان بالغيب لأننا لم نشاهده؛ فقد أخبر الله عنه ورسوله ﷺ، وهو أحد أركان الإيمان وأصوله الستة التى من أنكر منها واحدًا فإقراره وإيمانه بغيرها لا ينفعه كما تقدم؛ فمن آمن بالله ولم يؤمن باليوم الآخر فكفره باليوم الآخر كفر بالله، ومن آمن بالله وباليوم الآخر وكفر بالملائكة لا ينفعه إيمانه بالله ولا باليوم الآخر، ومن آمن بها كلها وكفر بالكتب، أو كفر

ببعضها، أو بالرسل أو بعضهم، أو بالقدر فإنه لا ينفعه إيمانه بسائر الأركان والأصول المتقدمة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] : ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فالإيمان باليوم الآخر وما فيه من أحداث وتفاصيل جاء ذكرها فى الكتاب والسنة أصل من أصول الإيمان، لا يصح إيمان المرء إلا بها، إيمان بالقبر وما يحدث فيه من فتنة كما يقول الناظم رحمه الله ومنكر ونكير فالإيمان بمنكر ونكير وأنهما فتانا القبر وقد صح ذكرها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى سنن الترمذى: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ (أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ) أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ: يُقَالُ لأَحَدِهِمَا المُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ...إلى آخر الحديث»[1] فهذا إثبات الاسمين اللذين يتضمنان الوصفين منكر ونكير مما تنكره العيون؛ لأنهما لم تشهد مثل خلقتهما وهيئتهما فتنكرهما العيون حينما تشاهدهما، وقد جاء ذكر فتنة القبر وعذاب القبر، أو نعيم القبر فى أحاديث رسول الله ﷺ كما جاء فى هذا الحديث، وكما جاء فى حديث أنس فى الصحيحين، وفى حديث البراء بن عازب فى مسند أحمد: «من أن العبد إذا وضع فى قبره جاءه ملكان فيسألانه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ أو وما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم؟» هذه فتنة القبر، والفتنة بمعنى الاختبار والابتلاء، والاختبار هو سؤال الملكين، فى هذا الموقف ورد قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [ابراهيم: ٢٧] فيها إثبات المشيئة لله عز وجل يضل ويهدى، يزيغ ويثبت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فى القبر: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ حين يبعث الناس ويُنْشَرُونَ،

(١) رواه الترمذي وابن حبان والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٩١).

تثبيت الله ﷻ المرء المؤمن فى القبر حين يدفن فيه فيسأله الملكان: من ربك؟ فيجب بثبات: ربى الله، وما دينك؟ يقول بثبات: دينى الإسلام، ومن نبيك؟ أو وما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم؟ يقول بثبات: – تثبيت الله ﷻ – هو محمد، جاءنا بالهدى فآمنا واتبعنا؛ فيقال له نم صالحًا إنا لنعلم أنك كنت موقنًا، فيفتح له باب من الجنة، ويفرش إلى الجنة؛ فيأتيه من رَوْحِها وريحانها، وأما الآخر الذى يفتن فى قبره فيضله الله ﷻ ويزيغه، ولا يثبته لأنه لم يثبته فى هذه الحياة الدنيا؛ فيقول: هاها لا أدرى، سمعت الناس يقولون قولا فقلته؛ فيضرب بمطرقة من حديد لو ضرب بها أعظم جبل فى الدنيا لذاب – والعياذ بالله – ولا يثبت فيها إلا من تثبتت قدمه على الإسلام فى هذه الحياة، إلا من ثبت قلبه على حب الله، وحب رسوله الله ﷺ فى هذه الحياة، إلا من آمن حقا بالله ربا وصدقه وأحبه وأطاعه، وبرسول الله نبيًا ورسولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأحبه وعظمه، واتبع آثاره، وبالإسلام منهجًا وشريعة وطريقًا يسلكه يثبته الله ﷻ فيجيب إجابة الثابت، والآخر الضال الذى ما صدق وما آمن إيمانًا جازمًا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، يفتن فى القبر: «**أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ – أو قَرِيب – مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[1] حديث أسماء فى الصحيح، تفتنون فى قبوركم هذه فتنة القبر فتنة عظيمة قريبًا من فتنة الدجال، أو مثل فتنة الدجال، الدجال أعظم فتنة وجدت على ظهر الأرض، الذى يأتى ويزعم فى نهاية مآله أنه الله، ومعه جنة ومعه نار، ويدعى أنه يُحْيى ويميت، ويعمر على الأرض القفر؛ فيؤمن به أهلها؛ فيأمرها أن تنبت والأرض الخضراء؛ فيكفر به أهلها فتصير موُحِلة، فتنة عظيمة، ويأمر السماء أن تمطر الذهب والفضة، ويأمر الأرض أن تخرج ما فى بطونها من ذهب وفضة – فتنة عظيمة – فتنة القبر مثل فتنة الدجال أو قريبًا من

(١) رواه البخاري: كتاب العلم – باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس.

فتنة الدجال، ثم يكون فى القبر: إما نعيم، وإما عذاب، وهو من أمور الغيب، وهى داخله فى الإيمان باليوم الآخر؛ لأنها مقدمات بعد الدنيا، وهى حياة البرزخ، والبرزخ المتوسط بين شيئين: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] الملح والعذب، البرزخ بينهما؛ فالقبر بين الدنيا والآخرة: بين الحياة الدنيا والآخرة يحيى الناس فيه حياة غيبية لا يعلمها إلا الله، إيمان بأن فى القبر حياة أخروية يصيب فيها الإنسان: إما إن مكان من أهل الإيمان نعيمًا، وإما إن كان من أهل الكفر وأهل الكبائر يصيبه العذاب؛ فنعيم القبر حق، وعذابه حق كما قال الله ﷻ عن فرعون وقومه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] إذًا عرضهم على النار غدوا وعشيا قبل قيام الساعة فهذا عذاب لهم، وفى المسند أن النبى ﷺ مر على أقبر للمشركين فَحَاصَتْ بغلته حيصة كاد أن يسقط منها ﷺ؛ فسأل عن أصحاب هذه القبور، قالوا ناس ماتوا فى الجاهلية قال: «**إن أصحاب هذه القبور يعذبون**»، بعض الناس ممن ينتسب للعلم ينكر أن يعذب من كان قبل بعثة النبى ﷺ بزعم أنهم أهل فترة لم يأتهم رسول، وكل حديث أخبر عن عذاب بعضهم أو جماعات منهم يرده بعقله، أو يرده بتأويله، أو بتضعيفه، حديث النبى ﷺ لما قال للرجل «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»(١)، وحديث النبى ﷺ لما قال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**»(٢) كل هذه الأحاديث يأولونها ويحرفونها حتى زعموا أن هؤلاء كانوا أهل فترة، أهل الفترة الذين لم يأتهم رسول، ولم تبلغهم آثار رسالة، هؤلاء يعذرون عند الله ﷻ ويختبرون، أما من حكم الله عليهم

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين.

(٢) رواه مسلم: كتاب الجنائز – باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه.

بأنهم مشركون: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١] والنبى ﷺ قال: أقبر المشركون وحيث ما مررت بقبر كافر، سماهم مشركين وكفارًا لأنهم كانت قد بلغتهم، أو وصلت إليهم آثار رسالة إبراهيم، وكان وجود المسلمين فيما بينهم حجة عليهم: كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهما ممن كانوا يسمون بالحنفاء، والذين بقيت معهم آثار رسالة إبراهيم، ودين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الشاهد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أثبت عذابا فى القبر، وكما فى حديث البراء أثبت نعيمًا أيضًا للمؤمن الذى ثبته الله ﷻ فى القبر، ويُدْخِلُ بعض العلماء فى الإيمان باليوم الآخر وبالموت وفتنة القبر والإيمان بالغيب أشراط الساعة التى ذكرها الله فى كتابه أو رسوله ﷺ فى سنته: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾ [محمد: ١٨] أى جاءت علاماتها؛ فيقولون إن علامات الساعة التى ذكر الله ورسوله تدخل فى الإيمان باليوم الآخر لأنها مقدماته بين يديه، مقدمات بين يدى اليوم الآخر من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج والدخان والريح الطيبة التى تقبض أرواح المؤمنين وطلوع الشمس من مغربها وهى آخر أشراط الساعة الكبرى، يقولون كل هذا داخل فى الإيمان باليوم الآخر لأنها مقدماته لأنها مقدمات بين يديه؛ فالإيمان بالقبر وفتنة القبر ونعيم القبر وعذاب القبر داخل فى الإيمان باليوم الآخر لأنه مقدماته؛ فالبرزخ مقدمة لليوم الآخر الذى يبعث فيه الموتى، وأشراط الساعة الكبرى والصغرى من قبلها أيضًا على المؤمن أن يؤمن بها كما أخبر الله ورسول الله ﷺ ويدخل فى ذلك الإيمان بالبعث بعد الموت، وقد نص عليه رسول الله ﷺ فى هذا الحديث في رواية أخرى، وأن تؤمن بالبعث بعد الموت، وأنه أصل من أصول الإيمان، وإنكاره كفر كما قال الله ﷻ عن الكفار: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]

وهؤلاء المنكرون للبعث من الدهريين الذين يقولون: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧] يعنى ليست هناك حياة أخرى، ولا بعثًا ولا نشورًا، ولا خروجًا من القبور، ولو كان ذلك كذلك لكان هذا طعنا فى حكمة الله ﷻ الذى خلق الخلق وابتلاهم، وأمرهم ونهاهم، لابد أن يكون هناك لقاء ليجازى ويثيب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته وعصيانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى ٱللَّهُ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] سبحانه تنزه وتقدس وتعالى عن أن يخلقكم ثم لا يردكم إليه ليجازيكم ويحاسبكم؛ لأن هذا يُعد بمثابة العبث تعالى الله عن ذلك، يخلقكم ليبتليكم ثم تلاقونه ليجازى كل عامل على عمله، ولو كان الموت هو النهاية لكان الظالم أسعد وأربح من المظلوم، ولكن يوم الحساب، ويوم الدين والجزاء هو يوم الانتصاف: ينتصف للمظلوم من الظالم، يقتص للمظلوم من الظالم، حتى إنه لَيُقْتَصُّ الجلحاء من الشاة القرناء يوم القصاص، يوم الدين، ويوم الدين هو يوم المداينة، يوم الجزاء، يوم الحساب، يوم المقاصة بين الظالم والمظلوم، والخلق جميعًا، من تمام وكمال علمه وحكمته وقدرته ﷻ أن جعل اليوم الآخر، يوم البعث، يوم النشور، يوم الجزاء؛ فنؤمن بالبعث بعد الموت وكما قال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى الله حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا»: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] (١) وعد الله ﷻ أن نلقاه، وأن يردنا إليه، وأن نرجع إليه كما أوجدنا فى هذه الحياة، أخرجنا فيها حفاة عراة غير مختونين، ويخرجنا من الأرض مرة ثانية للقائه حفاة عراة غير مختونين، لا تسترنا إلا الأعمال «أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام» (٢) أبو الحنفاء:

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير – المائدة – باب قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

(٢) السابق، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨] ثم يُبعث الناس بعد ذلك عراة، كل يكتسى على حسب إيمانه وعمله، كما قال النبى ﷺ «رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ: فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِىَ، وَمِنْهَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ إِذْ عُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ»، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله، قال: «الدِّينَ»(١) فالإنسان والناس جميعا يبعثون عراة، لا تسترهم إلا أعمالهم، ولا يسترهم إلا إيمانهم؛ فمن كان إيمانه كاملا وافرًا سبغ عليه، وستره ومن كان إيمانه ناقصًا بدت من بدنه وعوراته بقدر ما انتقص من إيمانه، «مَحْشُورُونَ» الحشر والنشر والبعث من القبور إلى الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] يخرجون: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٧، ٨] الكافر هو الذى يلقى الشدة والعنت، ويرى الهم والغم فى ذلك اليوم الذى يصفه النبى ﷺ، ودنو الشمس فيه حتى تكون فوق الرءوس بمقدار ميل، وحتى يبلغ العرق إلى الآذان، ويلجم الناس إلجامًا، يبعث الناس فى رشحهم: فمنهم من يكون رشحه إلى الكعبين، ومنهم إلى الركبتين، ومنهم إلى الحِقْوَيْنِ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، ومنهم من يبعث فى ظل عرشه سبحانه، فى هذا الموقف يأتى الإيمان بحوض النبى ﷺ، والناس العرق والظمأ يقطع الحلوق، والنبى ﷺ قائم على حوضه، والملائكة على حوضه، وهذا من أحوال يوم القيامة، كما جاء فى الأبيات: حوض النبى صلى الله على آله وسلم الذى يصب فيه النهر وهو الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] وهو الخير الكثير الذى يعطيه رسول الله ﷺ، يصب فى هذا الحوض الذى وصفه النبى ﷺ بأن عرضه مسيرة شهر، وعدد كيزانه عدد نجوم السماء، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، مَنْ شرب

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان – باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم – باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، يرده الناس جميعًا، وإذا بطائفة يزادون ويطردون، هؤلاء حين يراهم النبي ﷺ وهم من أمته عرفهم عليه الصلاة والسلام بآثار الوضوء، لكنهم مبتدعون، مرتكبون للمحرمات، ومنتهكون لحدود الله ﷻ في غير الوضوء والصلاة، حين تراهم الملائكة تطردهم بعيدًا عن الحوض؛ فيقول رسول الله ﷺ: يا رب أصحابي؛ فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم القهقرى: أي تركوا السبيل الذي تركته لهم، وغيروا أو بدلوا؛ فيقول النبي ﷺ سحقًا لمن غير وبدل، ثم يقول: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] هذا يدل على أنهم مؤمنون لكنهم مبتدعون، يصلون لكنهم مخالفون للسبيل؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يقول: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا يقول هذا في حق الكفار؛ لأن الكافر مخلد في النار لا محالة، ولا يدخل تحت المشيئة، إن الذي يدخل تحت المشيئة هو المؤمن الفاسق العاصي هذا يدخل تحت مشيئة الله ﷻ: إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، فتطرد الملائكة هؤلاء عن حوض النبي ﷺ؛ فنؤمن بالحوض.

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصحف – صحائف الأعمال التي دونها ملكان – حينما يبعث الناس يوم القيامة تطاير صحائف الأعمال: فناس يأخذون كتبهم بأيمانهم، وآخرون يشمائلهم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٠] ونؤمن بأن هناك ناسًا آخرين يأخذون كتبهم بالشمائل من وراء ظهورهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٧] يا ليت هذه كانت النهاية ولم تكن هناك

حياة أخرى، نؤمن بهذا، وأن الصحف مكتوب فيها كل شيء كما قال الكفار حينما ينظرون إلى كتبهم، ويعاينون ما فيها من كفر وفسوق وعصيان، لا يدع صغيرة ولا كبيرة، يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩] نؤمن بالكتب وصحائف الأعمال، وبعد ذلك من أهوال وغيب يوم القيامة الميزان، الإيمان بالميزان، وأنه ميزان حقيقي له كفتان توزن فيه الأعمال من خير وشر، وتوزن فيه صحائف الأعمال التى كتبت فيها، ويوزن فيه العاملون أنفسهم، ومن أنكر الميزان الحقيقى كالمعتزلة أنكر المعنى الحقيقى، ولم ينكر اللفظ؛ لأنه لا يمكن أن ينكر ذكر الميزان فى القرآن، وأنها موازين باعتبار الأعمال التى توزن فيها، وهل هو ميزان واحد يوزن فيه العاملون، وتوزن فيه أعمالهم، أم لكل إنسان ميزان؟ قولان لأهل العلم، والراجح أنه ميزان واحد، تقول لى كيف ميزان واحد يوزن فيه العاملون أجمعون، وتوزن فيه الأعمال كلها، وتوزن فيه صحائف الأعمال؛ كيف؟! السؤال عن الكيف فى الغيب لا يجوز، وهذا لا يعجز الله ﷻ، ميزان واحد له كفتان ولسان يزن به العباد جميعا وأعمالهم وصحائفهم، قدرته ﷻ لا حدود لها، وهذا من كمال عدله أن يزن العاملين بميزان واحد، وأعمالهم بميزان واحد ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] موازين يعنى جمع الموزونات التى توزن يوم القيامة؛ فالأعمال توزن: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٤] نسأل الله العافية: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [القارعة: ٧ - ٩] التى يؤمها ويقصدها جهنم يهوى فيها، ميزان حقيقى، المعتزلة يقولون نعم هو ميزان لكنه ليس حقيقيًا،

وإنما هو العدل، الميزان يعنى العدل الذى يجريه الله بين العباد، وهذا يخالف معنى اللفظ الظاهر؛ لأن القرآن بلسان عربى مبين، ميزان يخاطب أهل اللسان لا يفهمون منه إلا أنه ميزان: له كفتان ولسان لضبط الموازين، توزن الأعمال كما تقدم، وتوزن الصحائف التى تكتب فيها الأعمال، «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ»(١) حديث النبى ﷺ، والصلاة توزن، والصيام يوزن، والحج يوزن، والذكر يوزن، والتوبة والاستغفار يوزن، كل هذه توزن؛ كيف؟! لا تقل كيف، الصلاة توزن حقيقة، الله ﷻ يجعل لها جِرْما وثِقْلا ووزنا يزنها، والصحائف التى تكتب فيها الأعمال توزن: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ؛ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ؛ فَيَقُولُ: أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لاظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ؛ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ؛ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلاتِ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ فَطَاشَتْ السِّجِلاتِ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ»(٢)، والعبد نفسه يوزن: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ السَّمِينِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»(٣) إذًا الميزان ميزان حقيقى له كفتان توزن فيه الأعمال، وتوزن فيه صحائف الأعمال، ويوزن فيه العاملون، بعد ذلك الصراط، من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصراط الذى وصفه

---

(١) رواه ابن حبان وأحمد، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (١٣٤).

(٢) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٦٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير – المائدة – باب قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٥]، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

النبي ﷺ، وذكره الله ﷻ إشارة في القرآن: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] الورود هنا ورود الصراط، يرد الخلق جميعا إلى الصراط، والنبي ﷺ يقول: «مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَعَلَيْهِ كَلالِيبُ مِنْ نَارٍ»[1] نؤمن بهذا غيب من الإيمان باليوم الآخر أن الصراط ممدود على ظهر جهنم، دقيق أدق من الشعرة، حاد أحد من السيف، وعليه كلاليب من النار تخطف بعض العباد، يمر الناس عليه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢] الكل يرد: المتقون ينجيهم الله ﷻ بسرعة على حسب سرعتهم، وعلى حسب تحصيلهم لأمور الإيمان؛ فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، سبحان الله! يعني لا يشعر بصراط ولا نار، ومنهم من يمر كالريح، ومن من يمر كأجاويد الخيل: الخيل الجياد: يعني مسرعًا، ولا شك أنه سيشعر شيئا ما بلهب النار والعياذ بالله، ومنهم المسرع، ومنهم من يمشي خطوة ويعثر أخرى، ومنهم من يهوى فيها، ثم بعد ذلك الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان معدتان: أعد الله الجنة للمتقين، والنار للكافرين، ومن شاء من العصاة من المؤمنين، فالنار في الأصل هي دار الكفار، وقد يدخلها بعض المؤمنين على حسب ذنوبهم، وكبائر ارتكبوها، نؤمن بوجود الجنة والنار خلقهما الله ﷻ وهما موجودتان الآن: ﴿أُعِدَّتْ﴾ [البقرة: ٢٤] ماض: أعدها الله ﷻ وفي الأحاديث الكثيرة ذكر النبي ﷺ لأنه رأى الجنة والنار في رحلة المعراج[2]، وعرضت عليه الجنة والنار وهو في صلاته، يقول: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[3]

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية، وزيادة وعليه كلاليب ذكره صاحب كنز العمال.

(٢) راجع البخاري: كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة.

(٣) راجع البخاري: كتاب الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل، ومسلم كتاب الفضائل – باب توقيره ﷺ.

يعنى حينما رأى الجنة والنار، وما تقدم من أحاديث تدل على أن المؤمن فى القبر يفتح به باب إلى الجنة، والكافر أو العاصى يفتح له باب إلى النار يدل ذلك على أن الجنة والنار مخلوقتان، وهما لا تفنيان أبدًا، من الأشياء التى لا تفنى باقية، فأهل الجنة ينعمون فيها أبدًا نعيمًا مقيمًا، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأهل النار يعذبون فيها عذابًا أبدًا، وقد صح عن النبى ﷺ انه ذكر أن الموت: «يُؤْتَى بالمَوْتِش كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ؛ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. ثُم يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ؛ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ؛ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتٌ»(1)؛ فيسعد أهل الجنة سعادة أبدية، ويشقى أهل النار شقاوة أبدية: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] لا نهاية لها فى سورة هود: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] بعض الناس فهم من هذا الاستثناء قالوا: إذًا النار تفنى فيشاء الله لها أن تفنى بالكلية، ويفنى من فيها، أو يشهد أهلها؛ فلم يعودوا يشعروا بعذاب، وهذا خلاف النصوص الكثيرة التى تدل على خلود النار والعياذ بالله، واستمراره على أهلها عياذًا بالله، آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة تدل على أبدية النار، وبقائها أبد الآباد، أما الاستثناء هنا إما أن يكون استثناءًا للمدة التى قبل أن يدخلوها، أو استثناءً لمن يدخلها من المؤمنين يستثنون من النار، فمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بنهاية أحوال الناس فى اليوم الآخر؛ وهو الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان معدتان لا تفنيان، أبدًا كما يقول الشيخ حافظ الحكمى رحمه الله:

---

(1) راجع البخاري: كتاب التفسير – سورة مريم – باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، ومسلم: كتاب الجنة وصفة أهلها ونعيمها – باب النار يدخلها الجبارون، الجنة يدخلها الضعفاء.

والنار والجنة حق وهما مخلوقتان لا فناء لهما

وكما يقول العلماء: بعض المخلوقات خلقها الله ﷻ وهي باقية لا تفنى، وهي ثمانية أشياء:

العرش والكرسي نار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

المخلوقات هذه لا تفنى، لا نهاية لها، منها الجنة و النار، فيا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وأهل النار الذين هم أهلها، أما الذين دخلوها من عصاة المؤمنين وفُسَّاقِهِمْ ممن لقوا ربهم جل وعلا غير تائبين من هذه الكبائر، ولم يشأ الله ﷻ أن يغفرها لهم يدخلون النار، ثم يخرجون منها والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] فيشاء ربنا ﷻ أن يغفر لبعض أهل الإيمان ممن ارتكب معصية فلا يدخلون النار، ومن شاء ألا يغفر لهم يعذبهم الله ﷻ على قدر ذنوبهم، ثم يخرجهم من النار، ويلحقهم بأهل الجنة، وهنا يشير الناظم بقوله:

وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بمَائِهِ كَحَبٍّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

عصاة المؤمنين الذين دخلوا النار يخرجهم الله ﷻ منها خلافًا لما يعتقده الخوارج والمعتزلة الذين يقولون من دخل النار لا يخرج منها: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾ [المائدة: ٣٧] الآيات في الكفار أخذوها على المؤمنين إذا دخلوا النار؛ ولذلك ينكرون خروجهم، فالخوارج يقولون مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا، مخلد في النار يوم القيامة، والمعتزلة يقولون مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولاكافرًا هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، وفي الآخرة مخلد في النار، وأهل السنة يقولون: مرتكب الكبيرة الفاسق مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان، لا يقال مؤمن فحسب،

بل يقال: فاسق بفسقه وبمعصيته، وفي الآخرة أمره إلى الله: إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وإن عذبه الله ﷻ فلا يخلد في النار، بل يبقى فيها مدة لا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار، ولا يخلد فيها خلود الكفار، إنما يبقى فيها مدة ثم يأذن الله ﷻ بشفاعة الشافعين، فتشفع الملائكة، وتشفع الأنبياء، ويشفع الشهداء، ويشفع المؤمنون حتى يقول الله ﷻ: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»[1]، فأخرجوه من النار، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تدل على خروج طائفة من المؤمنين من النار كما جاء في الحديث الذي في الصحيحين: «يَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا – بعد أن صاروا حممًا فحمًا – وَعَادُوا حِمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» أو قال «حَمِيَّةِ السَّيْلِ»، وقال النبي ﷺ «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»[2] يخرجون من النار كأنهم الفحم؛ فيلقون في النهر: نهر يقال له الحياة؛ فيحيون فيه، وينبتون نبتًا فيه ضعف، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية، ثم يدخلون الجنة بعد ذلك، وهذه طائفة غير الطائفة الأخرى الذين يخرجون من النار بعتق الله ﷻ لهم، وفي أعناقهم الخواتيم، يقال لهم: عتقاء الله من النار، إثبات خروج عصاة المؤمنين الذين عذبوا في النار، والتحاقهم بالجنة كما قال ؒ يخرجون ويدخلون الجنة كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ، ثم يثبت الناظم ؒ شفاعة رسول الله ﷺ فيقول:

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ... وَإِنَّ عَذَابَ القَبْرِ بِالحَقِّ مُوضَحُ

عجز البيت تقدم الكلام عليه في الإيمان باليوم الآخر ومقدماته من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وأما الكلام على الشفاعة فسيأتي.

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان – باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

(٢) رواه البخاري: كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار.

الشفاعة:

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَإِنَّ عَذَابَ القَبْرِ بالحَقِّ مُوضَحُ

والشفاعة: هى الوساطة لقضاء الحوائج: من جلب نفع، أو دفع ضر، يشير رحمه الله إلى الشفاعة الخاصة بنبينا ﷺ العظمى، شفاعته لأهل الموقف من الخلق جميعًا لفصل القضاء بينهم، وأما الشفاعة مطلقًا فربما يشاركه فى بعض أنواعها بعض الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين من المؤمنين والشهداء، لكن الشفاعة العظمى؛ وهى المقام المحمود الذى يحمده عليه أهل الموقف جميعًا خاص بنبينا ﷺ.

والشفاعة لا تحصل و لا تتحقق إلا بشروط:

- إذْن الله عز وجل فى الشفاعة

- رضا الله عز وجل عن الشافع والمشفوع له إلا فى الشفاعة العظمى؛ فهذه لسائر الخلق ممن رضى الله عنهم أو لم يرض عنهم من سائر الناس والمخلوقات حتى يفصل ربنا عز وجل ويقضى بين العباد.

يقول الله عز وجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] إلا لمن رضى الله عز وجل.

والشفاعة التى أشار إليها الناظم وردت عن النبى ﷺ تواترًا، تواتر حديث الشفاعة العظمى عن النبى ﷺ من رواية جماعة من الصحابة: منهم أبو بكر وابن عمر وأبو هريرة وأبو سعيد وحذيفة وابن عباس، وغيرهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ورضى الله عنهم جميعًا، كلهم رووا حديث الشفاعة عن رسول الله ﷺ حتى صار فى عِدَادِ المتواتر.

والمتواتر يثبت به العلم أى اليقين: أى يقينًا ثبتت هذه الشفاعة عن النبى ﷺ، والتواتر يفيد العلم الضرورى، يعنى إذا بلغ الحديث مبلغ التواتر يجد نفسه مضطرًا لتصديقه، ولليقين وللعلم والجزم لما تضمنه هذا الحديث، وهو كما رواه الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وعن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَا ذَاكَ؟ يَجْمَعُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؛ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيُنْفِذُهُمُ البَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ، وَمَا لا يَحْتَمِلُونَ؛ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ؛ فَيَأْتُونَ آدَمَ؛ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ؛ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ؛ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ الله عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي ﷻ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ؛ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ؛ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ، وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى؛ فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ

الله، فَضَّلَكَ الله برِسَالاتِهِ وَبتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ فَيَأْتُونَ عِيسَى؛ فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ الله، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَيَأْتُونِي؛ فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله وَخَاتِمَ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[(١)].

والحديث كما ذكرنا ورد بألفاظ مختلفة عن هذا اللفظ، ولكنها كلها تواترت على إثبات هذه الشفاعة للنبي ﷺ، وهي من الشفاعات الخاصة التي يشفع فيها رسول الله ﷺ.

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير – الإسراء – قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ٣]، مسلم: كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة.

ومن الشفاعات الخاصة بنبينا ﷺ شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها من كانت سبقت لهم السعادة من أهل الجنة، يشفع النبى ﷺ عند ربه ليدخل أهل الجنة الجنة، والحديث عند مسلم من حديث أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «آتِى بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَلا أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»[(١)].

فأول من يقرع باب الجنة، ويستفتح باب الجنة: رسول الله ﷺ؛ فتفتح أبواب الجنة؛ فيشفع عند الله ليدخل أهل الجنة الجنة.

وأيضًا من شفاعاته الخاصة: أنه يشفع لرفع درجات بعض المؤمنين فى الجنة عن درجات استحقوها بأعمالهم.

ومن شفاعاته الخاصة، وهى شفاعة خاصة به وبالمشفوع له؛ وهو عمه أبو طالب الذى كان لولا شفاعة النبى ﷺ لكان فى الدرك الأسفل من النار، وإنما شفع له النبى ﷺ فصار فى قدميه أو رجليه نعلان من نار، أو جمرتان فى أخمص قدميه يغلى منهما دماغه، ولولا شفاعة النبى ﷺ لكان فى الدرك الأسفل من النار.

هذه شفاعات النبى ﷺ الخاصة التى لم يشاركه فيها غيره.

وهناك شفاعات أخرى للنبى يشاركه فيها الأنبياء والأولياء والصالحون والملائكة من قبلهم، وهى شفاعة فى إخراج بعض من دخل النار ممن لم يكن مشركًا فى أن يخرج منها، وهذه من الشفاعات التى ثبتت له كما سأله أبو هريرة رضى الله عنه: يا رسول الله، «مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِى يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ»، أو «خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب في قول النبي ﷺ أنا أول من يشفع في الجنة.

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب في قول النبي ﷺ أنا أول من يشفع في الجنة.

وهذه الشفاعة هى إخراج بعض الموحدين ممن دخلوا النار، وبكبائر ارتكبوها ولم يتوبوا عنها، هذه مما أنكرها بعض الطوائف الضالة: كالمعتزلة والخوارج، الذين يقولون: إن من دخل النار لن يخرج منها، وهى التى تذكر فى كتب العقائد، عقائد أهل السنة تمييزًا لهم عن غيرهم من المبتدعة، فيقولون: ونؤمن بشفاعة النبى ﷺ كما يقول: «شَفَاعَتِى لأَهْلِ الكَبَائِرِ أُمَّتِى، إِنْ دَخَلُوا النَّارَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا»، وبعضهم أيضًا يستوجب عذاب النار فيشفع له النبى ﷺ ألا يدخل النار، وهذا أيضًا خلاف ما عليه هؤلاء المعتزلة الذين يقولون يجب على الله أن يعذب العاصى؛ فمن وافى الله بكبيرة لابد وأن يعذبه الله، وإن أدخل الله ﷻ أحدًا النار لا يخرج منها؛ فهم ينفون هذه الشفاعة من شفاعات النبى ﷺ، وهذه الشفاعة كما ذكرنا يشاركه فيها الملائكة والأنبياء، وبعض الصالحين كما فى حديث الشفاعة الطويل الذى فيه: أن الله ﷻ يأمر الملائكة أن يخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، والله ﷻ يأمر المؤمنين حينما يجادلون الله فى إخوان لهم كانوا من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ فهذه الشفاعة للنبى ﷺ مطلقًا، ولكنها مثلها فى الأصل، أى الشفاعة فى إخراج بعض عصاة الموحدين من النار.

وهنا نذكر شفاعة النبى ﷺ التى أثبتها الله ﷻ بخلاف الشفاعة الباطلة، والتى يتعلق بها المشركون، ونفاها الله ﷻ، وأنكرها عليهم، ويستدل بها المبتدعة فى نفى الشفاعة عن المؤمنين الذين دخلوا النار، يستدلون بآيات هى فى الكفار الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، وهى الشفاعة الباطلة، وهى شفاعة غير مأذون فيها، استدلوا بها على نفى الشفاعة مطلقًا، وأنكروها وجحدوها؛ وهى الشفاعة الباطلة التى يتعلق بها المشركون وهى خاصة بالكافرين، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] والظالمون هنا يعنى المشركين، ليس لهم شافع ولا شفيع ولا شفاعة، ولا ينتفعون بشفاعة الشافعين؛ فإن الشفاعة لا ينتفع بها إلا الموحدون، أما

المشركون فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، كما قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] هؤلاء هم المشركون كما ذكرنا، فالشفاعة المنفية هى الشفاعة الباطلة، هى الشفاعة للمشركين، أو الشفاعة فيهم، أو شفاعتهم، كلها مردودة لا تقبل منهم شفاعة، ولا تقبل من غيرهم شفاعة فيهم؛ لأن شرط الانتفاع بالشفاعة أن يكون المشفوع له موحدًا، وقد وقع فى كبائر ذنوب استحق بها العذاب فلم يغفر الله ﷻ له، ولم تكن حسناته رافعة عنه هذا العذاب؛ فيشفع النبى ﷺ كما تشفع الملائكة فى إخراج هؤلاء من النار. **وَإِنَّ رَسُولَ الله لِلْخَلْقِ شَافِعٌ**: هذه الشفاعة العظمى الخاصة بالنبى ﷺ يتخلف عنها الجميع، ولا يقوم لها إلا رسول الله ﷺ، كما جاء فى بعض الروايات فى حديث الشفاعة: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا». الكل يقول: اذهبوا لغيرى، « **نَفْسِي نَفْسِي إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»، فيقوم النبى ﷺ ويقول: أَنَا لَهَا». ويتعرض لهذه الشفاعة؛ ولذلك يلهمه الله ﷻ من المحامد من حسن الثناء على الله ﷻ ما لم يفتح الله ﷻ به على أحد قبله؛ لأنه مخصص ومخصوص بهذه الشفاعة؛ فَخُص بهذه المحامد والثناء، فحمد الله وأثنى على الله ﷻ وطلب من الرب جل وعلا أن يقضى بين العباد، وهذا هو المقام المحمود قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الاسراء: ٧٩] أى يحمده عليه أهل الموقف جميعًا، وهى الشفاعة العظمى.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم حسن العمل.

حكم عصاة الموحدين عند الفرق

وَلا تُكفِرَنْ أهْلَ الصَّلاةِ وَإنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

وَلا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الخَوَارِجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

وَلا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بدِينِهِ ... ألا إنمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

يقول رحمه الله لا تكفر أيها السنى أهل الصلاة وهم الموحدون، ويقال لهم أهل القبلة، المسلمون، وهى عبارات تدل على معنى واحد، لا تكفر من دخل الإسلام، لا تكفر من يستقبل القبلة، فإذا صلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا فلهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

فهذه الأسماء لمسمى واحد وهم من شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لا تكفرن هؤلاء وإن كانوا أصحاب ذنوب ومعاصٍ، فالكل يعصى، ليس هناك أحد معصوم، والله عز وجل يضعهم تحت مشيئته لأنهم موحدون، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فلا تكفر من دخل الإسلام، ومن وحد، ومن كان من أهل القبلة، ومن كان من أهل الصلاة، أيها السنى إن كنت سنيًا فلا تكفر، وإن كفرت فلست داخلا فى هذا النداء، لأنهم وإن عصوا فهم تحت مشيئة الله عز وجل، غفار الذنوب، الذى يغفر الذنوب جميعًا، حتى الشرك بالتوبة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤] أى توبوا، فالمشرك إذا تاب فالله عز وجل يغفر له ذنبه والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة،

الذين يتبعون السنة، واجتمعوا على السنة، لا يكفرون أهل التوحيد إن وقعوا فى الكبائر، ولو جمعوا الكبائر كلها إلا أنهم موحدون لا يكفرونهم، بخلاف ما عليه الخوارج الذين يعتقدون كفر مرتكب الكبيرة، وخلوده فى النار، فى الدنيا يحكمون عليه بالكفر، وفى الآخرة يوجبون له الخلود فى النار، والمعتزلة يوافقونهم على الحكم بأن من أتى الله بكبيرة لم يتب منها فهو مخلد فى النار، فإن مذهب هؤلاء من الخوارج **يُرْدِي وَيَفْضَحُ**: يردى صاحبه فى المهالك، ويفضحه عند لقاء الله ﷻ، وفى الطرف الآخر المرجئة، الخوارج ومن وافقهم: مذهبهم تكفير مرتكبى الكبيرة وخلودهم فى النار، المرجئة على النقيض منهم: يقولون إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، غُلُوٌّ فى الطعن، وغُلُوٌّ فى المدح والتعديل.

وبعض المرجئة يغالى ويقول: إيمان كإيمان جبريل والملائكة والأنبياء والمرسلين، وأهل السنة وسط: يوافقون الخوارج شيئا ما فى أن هذا يستحق أو يستوجب العذاب، ويوافقون المرجئة فى أنه لا يخرج من الإسلام، ويبقى له اسم الإيمان، ولكن ليس الإيمان المطلق، ليس الإيمان المدحى، فأخذوا المنهج الوسط، وأثبتوا أن الإيمان يتأثر بارتكاب المحرمات وترك الواجبات، وأصله لا يزول، ولا يخرج المسلم من الإيمان بذنب أو كبيرة، على خلاف ما يعتقد الخوارج والمرجئة، الخوارج يقولون إذا ارتكب الكبيرة فقد خرج من الدين، والمرجئة يقولون إذا ارتكب كل الموبقات والكبائر ما عدا الشرك فهو مؤمن كامل الإيمان، لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] قالوا كذلك لا يضر مع الإيمان معصية؛ فإذا كان مؤمنا وأتى بكل المعاصى فإن إيمانه لا يتأثر ولا ينقص، فهم يتلاعبون بالدين؛ فالذين يقولون لو زنيت، وأكلت الربا وأكلت الحرام، وسرقت، وقتلت، فأنا دينى سليم. هذا يلعب بالدين، هذا استهزاء بالدين، حينما يقول إيمان أبى بكر الصديق كإيمان الفساق والمستهترين من المرتكبين للمنكرات

والكبائر، والتاركين لسائر الواجبات، هذا استهزاء بهذا الدين، واستهزاء بالآيات الكثيرة التى تثبت وجوب العمل الصالح مقرونًا بالإيمان، هذا قياس فاسد، لا ينفع مع الكفر طاعة بالنصوص الكثيرة التى تدل على أن الكافر وإن جاء بطاعات كأمثال الجبال لا ينتفع بها، أما لا يضر مع الإيمان معصية هذا مصادم لأدلة كثيرة من القرآن والسنة تدل على أن الإيمان يتأثر، الكافر لا ينتفع بالطاعات، المؤمن يتأثر إيمانه بالمعاصى والمنكرات، أما لا يتأثر فهذا يصادم النصوص الكثيرة التى تدل على نقصان الإيمان، وعلى تأثر الإيمان بارتكاب المعاصى لهذا يقول الناظم رحمه الله بعد ذلك فى بيان الإيمان عند أهل السنة.

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص:

وَقُــلْ إِنَّمَــا الإِيمَــانُ قَــوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْــلٌ عَلَــى قَــوْلِ النَّبِيِّ مُصَــرَّحُ

وَيَنْقُــصُ طَــوْرًا بِالمَعَاصِــي وَتَــارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمَــى وَفِي الوَزْنِ يَرْجُــحُ

لما ذكر مذهب المرجئة الذين يقولون إن الإيمان لا يتأثر بالمعاصى والمنكرات، والخوارج الذين يقولون إن الإيمان يزول بارتكاب المعاصى والمنكرات بين معتقد أهل السنة لمعنى الإيمان، وأن الإيمان قول ونية وعمل، جاء ذلك مصرح به قول النبى ﷺ وهو لذلك ينقص بالمعاصى ويزيد وينمى ويكثر ويتعاظم بفعل الطاعات، ومن وافى الله عز وجل بهذه الزيادات والطاعات ميزانه يرجح، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويزيد ميزان المؤمن بزيادته من أعمال الطاعات وتركه المعاصى والمنكرات لله، كل هذا زيادة فى إيمانه فالإيمان: اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان. هذه أصول هذا الإيمان الذى يشهد أهل السنة للمؤمن.

ففى هذين البيتين الأصول التى ينبنى عليها الإيمان عند أهل السنة قول اللسان، الثانى: النية وهى اعتقاد القلب، الثالث فعل الجوارح، وينضاف إلى ذلك أنه يزيد

بالطاعة وينقص بالمعصية. فقول اللسان: أصول وفروع، فقول اللسان الأصلى فى الإيمان هو الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الذى لا يصح إيمان شخص إلا إذا نطق بلسانه بالشهادتين، والأصل هو ما ينبنى عليه غيره، وغيره إنما هى فروع تنبنى على هذا، كالتسبيح والتكبير والتحميد والاستغفار وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كل هذه أقوال لسان، وهى فروع من الإيمان لا ينتفع بها قائلها إلا إذا حقق الأصل القولى الذى هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ فينبنى عليه سائر الأقوال الإيمانية التى أمر الله بها ورسوله، ولذلك يقول النبى ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسِ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله فَإِذَا قَالُوهَا أَوْ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ......**» إلى آخر الحديث. وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وابن عمر وغيرهما.

إذًا قولهم لا إله إلا الله وان محمدًا رسول الله تجعلهم قد جاءوا بأصل الإيمان القولى الذى حرم علينا دمائهم وأموالهم، فهذا أصل الإيمان القولى، والفروع التى تنبنى على هذا الأصل كما ذكرنا سائر الطاعات والعبادات القولية فالتسبيح والتكبير والتحميد، كلها أفعال اللسان التى تدخل فى الإيمان، والتى هى مكملات الأصل اللسانى الذى لا يصح الإيمان إلا به وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذا الأصل الأول من أصول الإيمان، قول اللسان: أصل وفرع، الأصل: الشهادتان، والفرع: سائر العبادات اللفظية التى هى دون الشهادتين.

والأصل الثانى: النية

والنية: هى فعل القلب، وهى الاعتقاد الصحيح، اعتقاد القلب الذى ينبنى عليه العمل بالظاهر «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ**» أى لا عمل فى الظاهر إلا بنية، ولا عملا نافعًا فى الظاهر إلا بنية، فعمل القلب: اعتقاد القلب، وقول القلب، ثم الأعمال

البدنية التى منها أصول، والألفاظ اللسانية التى منها أصول كلها لا ينتفع بها إلا إذا حقق اعتقاد القلب، قول القلب، وعمل القلب هما أصل الإيمان فى القلب، لا ينتفع العامل ولا القائل إلا بالإيمان القلب، تصديق القلب والجوارح، وهو الأصل الثالث من أصول الإيمان الذى لا يصح إلا به وهو الفعل، فعل الجوارح، وفعل اللسان وهو القول، والقلب له قول وله فعل، قول القلب وفعل القلب، فالفعل الذى هو أصل الإيمان، وهو فعل القلب، والفعل الذى هو فعل الجوارح كأقوال اللسان التابعة لأصل القول الذى هو أصل الإيمان الشهادتان، ففعل القلب أصل الإيمان وفعل الجوارح التابعة، هذه مكملات للإيمان، تصديق القلب أصل فعله، تصديقه يكمل بإتباع الجوارح لما اعتقد، وفعل بقلبه أقوال لسانية، وأفعال بالجوارح مع تصديق القلب لمجموعها يكتمل الإيمان؛ فليس الإيمان قولا فقط، ولا اعتقادًا فقط، ولا فعلا فقط، ليس الإيمان قولا باللسان فحسب، ولا اعتقادًا بالقلب فحسب، ولا عملا بالجوارح فحسب، هناك من فعل فقط ولم ينتفع بفعله؛ إذ لم يكن نابعًا من تصديق القلب، وهناك من نطق وتكلم ولم ينتفع به إذ لم يكن قوله تابعًا لتصديق القلب، وهناك من اعتقد بقلبه ولم ينتفع إذ لم يتبع ذلك بتصديق اللسان وتصديق الفعل.

أهل السنة خالفوا الفرق والطوائف الضالة فى بيان معنى الإيمان، فقالوا: الإيمان اعتقاد القلب، وقول اللسان، وفعل الجوارح.

فمن الطوائف المبتدعة من قال الإيمان اعتقاد القلب فحسب، ومنهم من قال اعتقاد القلب وقول اللسان فحسب، ومنهم من قال قول اللسان والفعل فقط من غير تصديق القلب، وكلها أقوال باطلة، ومذاهب فاسدة على خلاف ما عليه أهل السنة الذين جمعوا بين الثلاثة والفعل، فالفعل داخل فى مسمى الإيمان، ولا يخرج منه أى لا يخرج الفعل عن الإيمان كما قالت المرجئة الذين قالوا: الإيمان قول اللسان، واعتقاد القلب أو

فعل القلب فحسب، وفعل الجوارح ليس داخلا فى الإيمان، والفعل فعل القلب، وفعل الجوارح عمل القلب، وعمل الجوارح عمل القلب من الخشية والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة، وما إلى ذلك من أعمال القلب، بخلاف أعمال الجوارح من الصلاة والصيام والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد، كل هذه أفعال الجوارح، والتقسيم للإيمان بأنه قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، واعتقاد بالجنان عليه أدلة كثيرة من أظهرها حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةٌ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١)

كل ما سماه الرسول ﷺ إيمانا وشعبًا، أعلى هذه الشعب قول لا إله إلا الله؛ فهذا دليل على أن قول اللسان من الإيمان، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق؛ فهذا دليل على أن فعل الجوارح من الإيمان، وقوله: «وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» دليل على أن فعل القلب من الإيمان، الإيمان فعل القلب، أو تصديق القلب الذى يدخل فيه عمل القلب وقول القلب، ويدخل فى الإيمان فعل الجوارح، ويدخل فى الإيمان قول اللسان، الإيمان وشعب الإيمان قلبية ولسانية وتؤدى بالجوارح: أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق [فعل الجوارح]، والحياء [عمل القلب] شعبة منه، فهذا من أصرح الأدلة على أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٤٠]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ قالوا بلسانهم، وقالوا بقلوبهم: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ أى

(١) رواه البخاري دون ذكر أفضلها وأدناها: كتاب الإيمان – باب أمور الإيمان، ومسلم: كتاب الإيمان – باب بيان عدد شعب الإيمان.

استقاموا على الطريق بفعل الجوارح، هذا يدل أيضًا على اعتقاد القلب، ونطق اللسان، وفعل الجوارح والأركان، فقالوا بألسنتهم، وقالوا بقلوبهم؛ فإن القول يطلق على قول القلب وقول اللسان، ولا نخصص بقول القلب إلا إذا جاءت قرينة، أودل دليل كما قال الله ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] هذا الأمر أيضًا فيه أمر بالقول باللسان، وأمر بالقول بالقلب، وأمر بالإسلام والاستسلام الظاهر وهو فعل الجوارح، الإيمان قول القلب وعمل القلب، وقول اللسان وعمل الجوارح، عمل القلب كما ذكرنا الخشية والمحبة والرغبة والإنابة والتوكل، وقول القلب: التصديق بأن لا إله إلا الله، وبأن الله هو الواحد، وبأن رسول الله، رسول الله حقًا، وبأن القرآن هو كتاب الله ﷻ وكلامه أنزله على رسوله وحيًا، وهو تصديق القلب بالملائكة والنبيين والمرسلين وبالكتب أجمعين، وبالقدر خيره وشره، وبالبعث بعد الموت، هذا تصديق القلب لهذه الأشياء كلها مع عمل القلب الذى هو أصل الإيمان مع نطق اللسان، وفعل الجوارح تابع لذلك لا ينفك عنه الإيمان، الذى يقول إن الإيمان اعتقاد القلب فحسب هذا ضلال مبين، ولو قلنا بهذا القول كما قال من قال لكان فرعون مؤمنًا لأنه يعتقد بقلبه أن الله ﷻ هو الذى أنزل هذه الآيات والدلائل والبراهين، ولو قلنا إن قول اللسان فحسب دليل على الإيمان، وهو الإيمان لكان المنافقون داخلين فى عداد المؤمنين فإنهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٧] فهذه الآية دليل على أن قول القلب وقول اللسان لابد منهما، فالمنافقون يقولون بأفواهم ما ليس فى قلوبهم، وهم حينما يأتون النبى ﷺ يقولون: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المافقون: ١] لأنهم قالوا بألسنتهم فحسب، ولم يقولوا بقلوبهم.

فالقول قول القلب وقول اللسان، ومن قال إن الإيمان اعتقاد القلب من قوله وعمله ونطق اللسان وعمل الجوارح فهم أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين سائر الأدلة، أما من قال هو اعتقاد القلب ونطق اللسان فهم المرجئة، ومن قال هو النطق باللسان فقط فهم غلاة المرجئة والكرامية، أما من قال هو معرفة القلب فقط فهؤلاء الجهمية، وكلها مذاهب باطلة فاسدة، ولو قلنا إن مجرد الكلام أيضًا كفاية فى الحكم على قائله بالإيمان لكان أبو طالب أيضًا معدودًا فى المؤمنين لأنه قال: إن دين محمد من خير أديان البرية دينا، لكنه لم يعتقد بقلبه، ولم يصدق ذلك بجوارحه، ولم يتلفظ بالكلمة التى هى أصل الإيمان من أفعال اللسان؛ أو أقوال اللسان وهى شهادة أن لا إله إلا الله، لم يتكلم بهذه الشهادة فلم ينتفع بقوله، وإقراره بلسانه بأن دين محمد ﷺ من خير أديان البرية دينا، فالعمل لا بد منه، وجزء من الإيمان كما نقول عن مُعْتَقَدِ أهل السنة والجماعة، ولم يذكر الله ﷻ الإيمان إلا وقرنه فى عامة آيات الكتاب التى ذكرت الإيمان إلا وقرن معه العمل الصالح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فالأعمال الظاهرة أعمال الجوارح جزء من الإيمان؛ فالإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، ولأن أعمال الجوارح وأقوال اللسان داخلة فى الإيمان لابد من وجود النتيجة الحتمية، وهى بقية تعريف أهل السنة للإيمان وأنه يزيد وينقص.

الإيمان اعتقاد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح والأركان، وهذا لابد أن يتبع بقولهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لأن الناس لا يمكن أن يكون الناس أجمعون على درجة واحدة من تصديق القلب أو عمل القلب، والفاظ اللسان، وأعمال الجوارح؛ فالناس يتفاضلون فى عمل القلوب، ويتفاضلون فى أقوال اللسان، ويتفاضلون فى أقوال الجوارح؛ لذلك لابد أن نعتقد أن أهل الإيمان يتفاضلون، وأن

الإيمان نفسه يزيد وينقص، يزيد بكثرة الطاعة، وينقص بكثرة المعاصى، ينقص بترك كثير من الطاعات: طاعات البدن، وطاعات اللسان؛ لذلك يقول رحمه الله:

وَيَنْقُـصُ طَـوْرًا بالمَعَاصِـي وَتَـارَةً   بطَاعَتِهِ يَنْمَـى وَفِـي الوَزْنِ يَرْجُـحُ

يعنى يرجح على غيره بكثرة الطاعات؛ فقد صرح القرآن فى مواضع بذلك كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنفال: ٢، ٣] هناك من يقيم الصلاة ومن لا يقيم الصلاة؛ فمن أقام الصلاة أزيد إيمانا ممن لم يقم الصلاة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣] هناك من ينفق، ومن لا ينفق يبخل، فمن ينفق يكون إيمانه أزيد من إيمان من يبخل، هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] الذين حققوا الإيمان الكامل، ومن انتقص من ذلك شيئا كان من المؤمنين، ولا يوصف بأنه من المؤمنين حقا: يعنى كان إيمانهم ناقصًا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] الذين يقولون زادتهم إيمانا ويستبشرون ببشرى الله ﷻ، وكما قال النبى ﷺ والحديث فى صحيح مسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(١) يوجد إيمان ضعيف وإيمان أضعف، وإيمان زائد وإيمان أزيد، وإيمان عال وإيمان أعلى، وكما فى الحديث الآخر فى صحيح مسلم أيضًا: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»(٢) كلاهما مؤمن، أحدهما أقوى من الآخر: أقوى إيمانًا، لِمَعلى إيمانًا من الآخر، وفى كل خير، وأيضا حديث

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.

(٢) رواه مسلم: كتاب القدر – باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

إخراج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال شعيرة – برة – ذرة إذا إيمان القلوب نفسه يتفاوت، واحد إيمان فى قلبه يزن شعيرة، والآخر يزن برة، والثالث يزن ذرة، وكما جاء فى الحديث الآخر: «**مثقال أدنى أدنى حبة من خردل**» يعنى أن الإيمان أيضا فى القلوب يتفاوت ويتفاضل، وأهله ليسوا سواء كما يقول المرجئة الذين يقولون وأصله سواء، كما قال الطحاوى فى عقيدته مما انتقد عليه أنه يقول وأهله فى أصله سواء، لا ليسوا سواء، أصل الإيمان وهو اعتقاد القلب ليسوا فيه على درجة سواء: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١] وقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] كما قال ابن عباس وغيره: ليزداد يقينى، فهو متيقن مؤمن بقلبه، ولكن يقينه وإيمانه بقلبه سيزداد، وقال الله ﷻ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧] فبعض المؤمنين يرتكبون معاص تجعلهم أقرب للكفر من الإيمان، فكلما كان أقرب للكفر من الإيمان كان أبعد من الإيمان، وكان أضعف إيمانا، وكان أقل إيمانا من غيره ممن بعد عن الكفر، وغيرهم أبعد منهم عن الكفر ممن هم أفضل منهم، النبى ﷺ كما ذكرنا قال: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ**....الحديث]. أفعل تفضيل، يعنى يشتركان جميعًا فى أصل لكن أحدهما أقوى من الآخر وأرفع من الآخر، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، واعتقاد يزيد بكثرة الطاعات، وينقص بكثرة المعاصى والزلات.

التحذير من الرأي ومن الطعن في أهل الحديث

ثم بعد ذلك يقول رحمه الله في التحذير من الرأي، والتحذير من القدح في أهل الحديث؛ فإن الناس قسمان: أهل رأي وعقل، أهل أثر وحديث، يحذر من اتباع الآراء، وفي ثناياه أمر باتباع الأثر والدليل، ويحذر من الطعن في أهل الأثر فيقول:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلِهِمْ ... فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَوْلَى وَأَشْرَحُ

وَلا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِمْ ... فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

يقول: أيها السني، مخاطبا السني الذي يتبع السنة: اترك واحذر أن تبني دينك وعقيدتك على الرأي والعقل، والرأي هذا المذموم هو الرأي المتكلف، الذي ليس عليه دليل، الرأي المحدث الذي ليس له أصل ولا ينبني على الكتاب والسنة، فإن في الكتاب والسنة السلامة والعصمة والنجاة، وفي الرأي الضلال والغواية والهلاك، قال عمر رضي الله عنه محذرًا من اتباع أهل الرأي: إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء الدين، أعيتهم السنة أن يحفظوها فأعملوا عقولهم.

وقال علي رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بمسحه من أعلاه، أو من ظاهره.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما لما قال له رجل: أرأيت - معارضًا الحديث - قال: اجعل أرأيت باليمن.

وقال سهل بن حنيف: أيها الناس، اتهموا رأيكم على دينكم.

يعنى لا تدخلوا رأيكم فى الدين، وما خالف الدين من رأيكم فاتهموا الرأى، ولا تقدموا الرأى على الدين، فرأى رسول الله أزكى من أى رأى، وأشرح وأوضح وأظهر وأبين من أى قول قاله أى إنسان كان، وقال الأوزاعى: عليك بالأثر وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلى وأنت على طريق مستقيم.

وقال الإمام مالك: كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، يعنى النبى ﷺ.

وقال الإمام الشافعى: إذا خالف قولى قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولى عرض الحائط، وخذوا بقول رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون لرأى سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة:الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك، وهذا كله تحذير من الرأى الذى مبناه التخمين والظن والحدس، لا مبناه الكتاب والسنة، لا مبناه الدليل، وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] لم يقل وأطيعوا أولى الأمر منكم، وهم العلماء والأمراء، وأمرهم يكون من قول الله وقول رسوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ طاعة منفصلة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ طاعة منفصلة، وأولو الأمر طاعتهم غير منفصلة عن طاعة الله وطاعة رسوله، لذا لم يقدم الفعل عليهم، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر ما كان على طاعة الله وطاعة رسوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وقال ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى»

اختلافا كثيرًا، والاختلاف لا يكون مبناه إلا الرأى، فإذا كان مبنيًا على الدليل الواضح الصريح لا يكون هناك اختلاف، الاختلاف والخلاف الذى وقع حتى بين الأئمة بسبب الآراء، رأى من الدليل بخلاف ما رآه غيره، فالاختلاف كان سببه الرأى **«فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»**(١) التى حدثت وليس لها أصل فى الدين، وليس لها ولا عليها دليل وبرهان، فالأمر بالاتباع: اتباع قول الله، وقول رسوله ﷺ، والنهى عن اتباع الهوى والرأى والعقل، ولا تكن من قوم اتخذوا الدين لعبًا ولهوًا من أهل البدع والآراء والشهوات، ولا تكن من هؤلاء الذين يعادون أهل الحديث لأنهم رووا من الروايات ما يقيدهم ويبين ضلالهم وفساد مذهبهم ومشاربهم؛ لذلك يبغض أهل البدعة وأهل الهوى من المعاصى أهل الحديث، لأنهم يروون لهم من الحديث والأثر ما ينقض مذهبهم وما هم عليه، ويقوض ما بنوه من الآراء والأهواء والعقول الفاسدة لذلك يبغضونهم، فلا تكن من هؤلاء، ولا تكن ممن يطعن فى أصحاب الحديث، ويقدح فى أصحاب الحديث؛ فإن الطعن فيهم علامة البدعة، وعلامة فساد القلب، وعلامة فساد المشرب والمذهب.

قال أحمد بن سنان رحمه الله: ليس فى الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أصحاب الحديث؛ فإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه.

وقال محمد بن على الصور:

قل لمن عاند الحديث وأضحى ... عائبا أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبن لى ... أم بجهل فالجهل خلق السفيه

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والدارمي، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٦٥).

أيعاب الذين هم حفظوا الدين ... من الترهات والتمويه

وإلى قولهم وما قد رووه ... راجع كل عالم وفقيه

فأهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية الذين جاء ذكرهم في حديث النبي ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ»[1] والحديث في الصحيحين.

يقول ابن المبارك رحمه الله: هم عندي أصحاب الحديث. الطائفة المنصورة، الطائفة التي على الحق، الطائفة الناجية، وكما قال ابن المديني والبخاري وغيرهم من أئمة أهل السنة يقول الإمام أحمد: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم.

ويقول الإمام النووي: الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض.

وقال يزيد بن زريع: لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد، أو أهل الأسانيد: يعني أهل الحديث.

ويقول الإمام الشافعي: إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث كأنما رأيت رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام أبو داود: لولا هذه العصابة لانْدَرَسَ الإسلام. يعني أصحاب الحديث.

ويقول إبراهيم بن أدهم: إن الله يرفع البلاء عن أمة محمد ﷺ برحلة أصحاب الحديث.

ويقول الإمام الزهري: الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب قول النبي ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ»، مسلم: كتاب الإيمان – باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ.

وقال بعضهم:

عليكم بالحديث فليس شيء ... يعادله على كل الجهات
نصحت لكم فإن الدين نصح ... ولا أخفى نصائح واجبات
وجدنا فى الرواية كل فقه ... وأحكامًا ومن كل اللغات
بذكر المسندات أنست ليلي ... وحفظ العلم خير الفائدات
ومَن طلب الحديث أفاد ذخرًا ... وفضلا ثم دينًا ذا ثبات

وقال بعضهم: أهل الحديث هم أهل الرسول ﷺ، وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا.

وقال بعضهم:

جزى الله أصحاب الحديث مثوبة ... وبوأهم فى الخلد أعلى المنازلِ
فلولا اعتناؤهم بالحديث وحفظه ... ونفيهم عنه دروب الأباطلِ
وإنفاقهم أعمارهم فى طِلابه ... وبحثهم عنه بجد مواصل
لما كان يدري من غدا متفقهًا ... صحيح حديث من سقيم وباطل
ولم يستبن ما كان فى الذكر مجملا ... ولا يدرى فرضًا من عموم النوافل
فحبهم فرض على كل مسلم ... وليس يعاديهم سوى كل جاهلِ

قال الخطيب رحمه الله - فى كتاب صنفه فى شرف أصحاب بالحديث عن أصحاب الحديث - قال: وقد جعل الله أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبى ﷺ وأمته، المجتهدون فى حفظ ملته، أنوارهم

زاهرة، وفضائلهم وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحجتهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيًا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، ولا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووه عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، وإذا اختلف فى حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به هو المقبول المسموع، ومنهم كل عالم فقيه وإمام رفيع نبيه، وزاهد فى قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر إليهم بالسوء حسير، وإن الله على نصرهم لقدير. وذكر آثارًا كثيرة فى كتابه هذا تدل على شرف وفضل أصحاب الحديث؛ فإياك أن تطعن فى أهل الحديث وتقدح.

الخاتمة

ثم يقول رحمه الله الخاتمة، نسأل الله عز وجل حسن الخاتمة:

إِذَا مَـا اعْتَقَدْتَّ الدَّهْــرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْـتَ عَلَــى خَيْــرٍ تَبِيــتُ وَتُصْبِحُ

إذا كنت على هذه العقيدة لا على المنظومة، ولا يمدح المنظومة إنما يمدح ويأمر بما جاء فيها من عقائد مبناها الكتاب والسنة، يعنى إذا كنت على هذه العقيدة التى سقتها فى هذه المنظومة **يَا صَاحِ**: يعنى يا صاحبى، أو من الصحوة: أيها الصاحى الذى ليس بغافل، وكلاهما ترخيم. **الدَّهْرَ**: أى حياتك كلها يا صاحب هذه العقيدة **فَأَنتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ**: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] فمن كان على هذه العقيدة لا يضل ولا يشقى فى الدنيا صباحًا ولا مساءً، حياته كلها على الهداية والاستقامة والسعادة والأمن، وفى الآخرة أيضًا لا يشقى لأنه لا يشقى إلا الذى يصلى النار، ومن كان على هذه العقيدة فلا يصلى النار بإذن الله تعالى.

فأسأل الله عز وجل أن يرزقنا عقيدة صحيحة سليمة مبناها الكتاب والسنة، وأن يرزقنا عملا صالحًا مبناه الكتاب والسنة، وأن يرزقنا حبه وحب نبيه، وحب عمل يقربنا من حبه، ويقربنا من الجنة، وأن يحفظ علينا ديننا، وأن يحفظ علينا إيماننا، وأن يجنبنا سائر البدع صغيرها وكبيرها، وأن يجنبنا المعاصى ما ظهر منها وما بطن، وأن يعيد علينا هذه الأيام، وكل لقاء على كتاب نتعلمه، ودراسة ندرسها، ونحن فى أمن وإيمان وسلامة وإسلام.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

نهاية دراسة وشرح المنظومة

ليلة الجمعة ٢١ من محرم سنة ١٤٢٨ هـ بمسجد التوحيد بميت غمر

أبو عمير مجدى بن محمد بن عرفات المصرى الأثرى

المحتويات